جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

المقصدية والسياق والبعد التداولي في فهم الخطاب القرآني

الدكتور

السيد عبدالحليم مصطفى عبدالعال الشوربجي

أستاذ مساعد قسم أصول اللغة. كلية البنات الأزهرية بطيبة. الأقصر.

جامعة الأزهر - جمهورية مصر العربية

العدد الخامس والعشرون

للعام ١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م

الجزء التاسع

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢١م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050

الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

المقصدية والسياق والبعد التداولي في فهم الخطاب القرآني

السيد عبدالحليم مصطفى عبدالعال الشوربجي

قسم أصول اللغة ـ كلية البنات الأزهرية بطيبة الأقصر ـ جامعة الأزهر ـ جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني : alsayed71@azhar.edu.eg

الملخص

يعمل البحث التداولي على دراسة العلاقة بين اللغة ومستخدميها... ويسعى إلى الكشف عن طبيعة العلاقة بين اللغة والسياقات اللغوية وغير اللغوية والتي تتداخل أثناء استخدام اللغة .

ويذكر الباحثون في حقل اللسانيات التداولية: أن البحث التداولي ظهر بعد أن أغفلت البنيوية ملابسات السياق ومقام الكلام الذي أنتج فيه، وإدراك مقاصد المتكلم، ومدى استجابة المتلقي... وكيف للمتلقي أن يفهم قصد المتكلم؟

وتهتم الدراسات التداولية اهتماما كبيرا بقصدية النص؛ كما أن نظرية الأفعال الكلامية تقوم على أساسين منهجيين هما: عرفية الاستعمال وقصدية المتكلم؛ فالمتكلم لا يتكلم مع غيره إلا إذا كان لكلامه قصد، وهذا القصد كما يرى الأصوليون محدد عند المتكلم، وثابت لا يتغير؛ لذلك يتخذ من الوسائل الكلامية والمقامية ما يعين السامع على إدراك ما يريد، وتتفاوت مراتب السامعين في إدراك مقصود المتكلمين.(د. محمود أحمد نحلة .آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر. القاهرة ، دار المعرفة الجامعية. ٢٠٠٢م، (ص ٨٥ ، ٨٩) .

ويهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على المقصدية والسياق وأثرهما في فهم الخطاب القرآني، من خلال الإشارة إلى السياقات المتعددة التي يمكن أن يفهم من خلالها الخطاب القرآني، وكيف يعمل السياق الجزئي المنطلق من رؤى وخلفيات فكرية على إضفاء مفاهيم خاصة تؤثر على السياق العام الذي يفهم من خلاله الخطاب القرآني، وتؤدي أحيانا إلى التعارض مع مقاصد الإسلام الكبرى.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وسيتبع البحث منهجا وصفيًّا تحليليًّا من خلال الحديث عن المفاهيم المتعلقة بالتداولية، ومحاولة الاستفادة منها في فهم مقصدية الخطاب القرآني. مستعينا بالرؤى التراثية التي تعاملت مع هذه النصوص، ومدى الإشارات التي اشتملت عليها لتفسير النص القرآني.

ومن أهم النتائج التي توصل إليها البحث:

أولا: اللغة ليست هي الألفاظ والجمل مجردة عن سياقها الزماني والمكاني والثقافي فحسب، ولا يمكن فهمها بعيدا عن قصد الملقي ولا ثقافة المتلقي.

ثانيا: الخطاب القرآني خطاب إلهي معجز" لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ" [فصلت: ٤٢] هذه سمة تجعله متفردا عن الخطابات البشرية، فهو خطاب متكامل، يمتلك من الأدوات والآليات التي تجعله رسالة ربانية عالمية تتجاوز الزمان والمكان،

الكلمات المفتاحية : مقصدية – سياق – تداولية – تحليل خطاب– الخطاب القرآني.

Intentionality, context, and the pragmatic dimension in understanding the Qur'anic discourse

Alsayed Abdel Halim Mustafa Abdel Aal Al Shorbagy
Department of Linguistics, Al-Azhar Girls College, Taiba, Luxor, Al-Azhar University, Arab Republic of Egypt
Email: alsayed71@azhar.edu.eg

Abstract

Deliberative research studies the relationship between language and its users... It seeks to reveal the nature of the relationship between language and the linguistic and non-linguistic contexts that overlap during the use of language.

The researchers in the field of pragmatic linguistics mention: that the pragmatic research appeared after structuralism neglected the circumstances of the context and the position of the speech in which it was produced, and the realization of the speaker's intentions, and the extent of the recipient's response... How can the recipient understand the speaker's intent?

Pragmatic studies pay great attention to the intent of the text. The theory of speech acts is based on two methodological foundations: the customary usage and the intentionality of the speaker; The speaker does not speak with others unless his words have an intention, and this intention, as the fundamentalists see, is specific to the speaker, and is fixed and does not change; Therefore, he uses the verbal and diacritical means to help the listener to understand what he wants, and the levels of the listeners vary in realizing the intention of the speakers. (Dr. Mahmoud Ahmed Nahle. New Horizons in Contemporary Linguistic Research. Cairo, Dar al-Maarifa al-Jami'iyyah. 2002 AD, (pg. 85, 89) .

This research aims to shed light on the intent and context and their impact on understanding the Qur'anic discourse, by referring to the multiple contexts in which the Qur'anic discourse can be understood, and how the partial

context stemming from visions and intellectual backgrounds works to impart special concepts that affect the general context that is understood by During the Qur'anic discourse, it sometimes leads to conflict with the major purposes of Islam.

The research will follow a descriptive and analytical approach by talking about concepts related to pragmatics, and trying to benefit from them in understanding the intent of the Qur'anic discourse. Using the traditional visions that dealt with these texts, and the extent of the references they included to interpret the Qur'anic text.

Among the most important findings of the research:

First: Language is not only words and sentences that are abstracted from their temporal, spatial and cultural context, and it cannot be understood apart from the intention of the sender or the culture of the recipient.

Second: The Qur'anic discourse is a miraculous divine discourse, "Falsehood does not come to it from before it, nor from behind it, a revelation from the Wise, the Praiseworthy, the tools." And the place,

Keywords: intentional - context - pragmatic - discourse analysis - Quranic discourse.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

يعمل البحث التداولي على دراسة العلاقة بين اللغة ومستخدميها، ويسعى إلى الكشف عن طبيعة العلاقة بين اللغة والسياقات اللغوية وغير اللغوية، والتي تتداخل أثناء استخدام اللغة.

كما تقوم التداولية في إطارها العام على فهم اللغة في سياقها الاستعمالي، من خلال فهم مقصدية النصوص، ومن هنا تتضافر السياقات الثقافية والاجتماعية لفهم مدلول ومقصدية النص، بعيدا عن الفهم اللغوي المحدود، الذي يضيق ايحاءات ودلالات النصوص.

ويذكر الباحثون في حقل اللسانيات التداولية: أن البحث التداولي ظهر بعد أن أغفلت البنيوية ملابسات السياق ومقام الكلام الذي أنتج فيه، وإدراك مقاصد المتكلم، ومدى استجابة المتلقي، وكيف للمتلقي أن يفهم قصد المتكلم؟

وتهتم الدراسات التداولية اهتماما كبيرا بقصدية النص؛ كما أن نظرية الأفعال الكلامية تقوم على أساسين منهجيين هما: عرفية الاستعمال وقصدية المتكلم؛ فالمتكلم لا يتكلم مع غيره إلا إذا كان لكلامه قصد، وهذا القصد كما يرى الأصوليون محدد عند المتكلم، وثابت لا يتغير؛ لذلك يتخذ من الوسائل الكلامية والمقامية ما يعين السامع على إدراك ما يريد، وتتفاوت مراتب السامعين في إدراك مقصود المتكلمين، تبعا لتفاوت قدراتهم العقلية واللغوية والثقافية[١].

(١) د. (نحلة) محمود أحمد. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر(القاهرة، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٢م، ص ٨٥، ٨٩).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وقديما أشار ابن خلدون– في تعريفه للغة– إلى هذين الأصلين: المقصدية وعرفية الاستعمال؛ بقوله: عبارة المتكلم عن مقصوده... وهو في كل أمة بحسب اصطلاحهم(١).

ويذكر د. محمد محمد يونس في مقدمة كتابه علم التخاطب الإسلامي: أن فلسفة هذا العلم تقوم على التشديد على سمة القصدية والمرادية في الخطاب، وهو ما يؤول إلى القول بأن التفاهم أو التخاطب الناجح لا يحدث إلا إذا أدرك المخاطَب مراد المخاطِب(٢).

مشكلة البحث:

وتكمن إشكالية هذا البحث في انطلاقه من فرضية الاستفادة من التداولية– بوصفها نظرية لسانية غربية حديثة– في فهم الخطاب القرآني، وذلك من خلال الفهم التداولي للخطاب، منطلقا من المقصدية والسياق باعتبارهما مدخلا أصيلا للوصول إلى فهم شامل للنص، يراعي السياقات المتعددة والمآلات الناتجة عن هذا الفهم، والتي تراعي المقاصد العامة المراد تحقيقها وتوفرها على المستوى الإسلامي بشكل خاص، والإنساني بشكل عام، والتي من خلالها تتحقق الغاية المرجوة من الخطاب القرآني؛ يقول تعالى:" إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ "[الإسراء:٩]، ويقول سبحانه: "وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ"[النحل:٦٤].

---

(١) ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون(بيروت، دار القلم. ط: الخامسة، ١٩٨٤م، ١/ ٥٤٦).

(٢) د. (يونس) محمد محمد، علم التخاطب الإسلامي(بيروت، لبنان، دار المدار الإسلامي. الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م، ص ٩).

وهل تستطيع اللسانيات الحديثة أن تضيف جديدا لفهم الخطاب القرآني؟ خاصة وأن بعض هذه القراءات الجديدة التي اتكأت على هذه المناهج شابها كثير من الخروج والخروق لمقاصد الخطاب القرآني(١)، وأدى بعضها إلى تحريف المعنى عن مواضعه، وتعاملت مع النص القرآني كأي نصٍّ بشري لا يتمتع بخصوصية أو قدسية(٢).

ومع ذلك فاللسانيات الحديثة لا تخلو من إيجابيات متعددة يمكن الاسترشاد بها والاستفادة منها، واستخدامها في فهم الخطاب القرآني، وبيان مقاصده؛ لأنها على حد تعبير د. عبد الرحمن بودرع: تقدم معايير العلمية والموضوعية في الدراسة، كما أنها تتجاوز النظرة الجزئية المحصورة في الأصوات والمفردات والجمل وتتعداها إلى البنية العامة للنص(٣).

---

(١) في دراسته: القرآن الكريم ومناهج تحليل الخطاب عرض د. عبد الرزاق هرماس لعدد من هذه القراءات التي حرصت على هدم أصول التفسير وقواعده-بحسب قوله- لتعويضها بما اصطلح عليه المناهج المعرفية المعاصرة. ينظر: (هرماس): عبد الرزاق، القرآن الكريم ومناهج تحليل الخطاب(المغرب، جامعة القاضي عياض، ص ٢٤ وما بعدها).

(٢) وهذه الفئة من الباحثين يفضّلون المنهج الباطني في دراسة النص متجاوزين عنصر "القصد" أو "المراد" من الخطاب، وهؤلاء لهم منهجهم الخاص في التعامل مع النص يختلف اختلافا جوهريا عما ما هو معهود في البراغماتية الحديثة التي تجعل من مراد المتكلم محورًا للدراسة... ومعظم هؤلاء انطلقوا من مبادئ مغايرة تماما لمبادئ المنهج البراغماتي، مثل مبدأ الحجب، ومبدأ الشك، ومبدأ المخاتلة، وهي مبادئ تقوم في مجملها على فكرة أن المتكلم لا يقول الحقيقة، بل هو مخادع مضلل، وهذا المنهج، وإن صلح لدراسة النصوص الأدبية المستغلقة وما شابهها من الفنون، فلا أظن أنه يصلح لدراسة النصوص الدينية والقانونية ونحوها مما ينتمي إلى النصوص المقاصدية. ينظر: د (يونس) محمد، علم التخاطب الإسلامي. مرجع سابق (ص١٠).

(٣) د. (بودرع) عبد الرحمن، نحو قراءة نصية في بلاغة القرآن والحديث(إدارة البحوث والدراسات الإسلامية، قطر، كتاب الأمة، العدد ١٥٤، ربيع أول ١٤٣٤هـ. السنة: ٣٣ ، ص٢١، ٢٢).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وسيحاول هذا البحث الإجابة عن تساؤل رئيس: هل يمكن للتداولية بصفتها نظرية لسانية حديثة أن تفيد في فهم الخطاب القرآني؟ وتسهم في طرح جديد يعيد تشكيل الوعي الجمعي، بعدما أصابته كثير من الرؤى والأفكار التي عدلت بفهمه عن مقصدية النص القرآني، وفق رؤية وسطية تنطلق من ثوابت الدين، ومحكمات الشرع؟

خاصة وأن الساحة العلمية والفكرية المعاصرة يكتنفها تياران: أحدهما: يميل إلى التجميد-إن صح التعبير- والآخر: يسعى إلى التجديد غير المنضبط، فدعاة التجميد أغلقوا بابا واسعا يمكن أن يفتح آفاقا رحبة لنصٍّ في أساسه جاء لهداية البشرية على اختلاف عصورها التاريخية ومساحتها الجغرافية، وتفاوت مكوناتها الثقافية والفكرية "لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ"[فصلت:٤٢]، فضلا عن حصرهم فهم النص في أزمنة معينة لا يتعداها. وعلى الضد من ذلك دعاة التجديد غير المنضبط تعاملوا مع النص القرآني على أنه نص لا يختلف عن أي نص لغوي مفتوح على جميع التأويلات أيا كان مصدرها؛ فهؤلاء ظلموا النص لأنهم تجاوزوه وفكروا خارجه. وأي تأويل للنص المقدس لا ينطلق منه، ولا يراعي خصوصيات الخطاب الإلهي، أو يتشرب صاحبه روح الوحي الذي جاء به، وتتشكل رؤاه وثقافته من مرتكزاته، فهو تجنٍّ على النص القرآني.

ويهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على المقصدية والسياق وأثرهما في فهم الخطاب القرآني، من خلال الإشارة إلى السياقات المتعددة التي يمكن أن يفهم من خلالها الخطاب القرآني، وكيف يعمل السياق الجزئي المنطلق من رؤى وخلفيات فكرية على إضفاء مفاهيم خاصة تؤثر على السياق العام

الذي يفهم من خلاله الخطاب القرآني، وتؤدي أحيانا إلى التعارض مع مقاصد الإسلام الكبرى.

وسيتبع البحث منهجا وصفيًّا تحليليًّا من خلال الحديث عن المفاهيم المتعلقة بالتداولية، ومحاولة الاستفادة منها في فهم مقصدية الخطاب القرآني. مستعينا بالرؤى التراثية التي تعاملت مع هذه النصوص، ومدى الإشارات التي اشتملت عليها لتفسير النص القرآني.

وستنتظم الدراسة في مبحثين:

المبحث الأول: التداولية والخطاب القرآني.

المبحث الثاني: المقصدية والسياق وتوظيفهما في فهم النص القرآني.

نسأل الله تعالى التوفيق والسداد

وأن يجنبنا الخطأ والزلل في القول والعمل

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المبحث الأول

التداولية والخطاب القرآني

أولا: التداولية (المفهوم والنشأة)

مصطلح (التداولية) ترجمة للمصطلح الأعجمي(Pragmatics)[1]، وبحسب د. محمد عبد المطلب، فإن المصطلح ترجم ترجمات عديدة، كل

---

(١) يترجم المصطلح Pragmatique بعدة كلمات باللغة العربية، منها: الذرائعية، والتداولية، والبراجماتية، والوظيفية، والاستعمالية، والتخاطبية، والنفعية، والتبادلية. (حمداوي: جميل، التداوليات وتحليل الخطاب. (ط: الأولى ٢٠١٥م، ص ٤، ٦)، وكان طه عبد الرحمن أول من ترجمه إلى التداولية، يقول: وقد وقع اختيارنا منذ ١٩٧٠م على مصطلح "التداوليات" مقابلا للمصطلح" براغماتيقا"، لأنّه يوفي المطلوب حقه باعتبار دلالته على معنيين: الاستعمال والتفاعل معا. (د (عبد الرحمن) طه: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، (الدار البيضاء، المغرب المركز الثقافي العربي، ط: الثانية ٢٠٠٠م، ص ٢٨)، واختار لها د. محمود عكاشة، مصطلح: (البراجماتية اللسانية) "Linguistic Pragmatics "، ورأى أنها الترجمة الأدق؛ حيث قال: البراجماتية اللسانية، أو التداولية اللسانية هي نفسها التداولية "pragmatics التي شاعت في البحوث العربية، وقد اخترت مصطلح (البراجماتية اللسانية) لدلالته على المفهوم الغربي الدقيق، وللتفرقة بين المصطلح اللساني الحديث والمصطلح الفلسفي" pragmatism " وقد ترجم الأخير إلى البراجماتية والفوائدية والنفعية والعملية. (د. (عكاشة) محمود، النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية)، دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ.(القاهرة :مكتبة الآداب، ط: الأولى ص ٣) ويرى د. محمد عناني؛ أنه يجب ألا نخلط بين علم التداولية pragmatics والمذهب البراجماتي pragmatism وهو المذهب الفلسفي الذي يحبذ التركيز على كل ما له أهمية عملية للبشر، ويتجنب البحث في القضايا المطلقة أو المجردة(د. (عناني) محمد، المصطلحات الأدبية الحديثة، دراسة ومعجم انجليزي عربي.(القاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط الثالثة: ٢٠٠٣. ص٧٧).ويعقب د. عيد بلبع على مصطلح (البراجماتية اللسانية): أن وصف البراجماتية اللسانية في مقابل البراجماتية بالمفهوم المطلق لن يحل مشكلة الخلط والاضطراب، وبقي لنا أن نحدد أننا نستخدم هنا مصطلح التداولية مقابلا للمصطلح الأجنبي Pragmatics ، كما نستخدم مصطلح الذرائعية مقابلا للمصطلح (pragmatism) (د. (بلبع) عيد، التداولية البعد الثالث سميوطيقا موريس(مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد ٦٦، ربيع ٢٠٠٥م. ص ٣٧، ٣٨). والذرائعية (pragmatisme) نظرية فلسفية أمريكية تهتم بالفائدة العملية لفكرة ما، كمعيار لصدقها لا حسب مقتضياتها العقلية أو الحسية، فتلك معاني ثابتة أو تصورات قبلية، وتعد فكرة كل موضوع، ما هي إلا مجموعة الأفكار لكل الوقائع المتخيلة التي يمكنها أن تأخذ أهمية عملية يمكن إلصاقها بهذا الموضوع. (ينظر: د. (بوقرة) نعمان، المدارس اللسانية المعاصرة، (القاهرة، مصر، مكتبة الآداب، ط: الأولى، ٢٠٠٤م، ص١٧٣).

منها يراعي مرجعية دلالية فيه، بعض الترجمات تربطه بعلاقة السببية (الذرائعية)، وبعضها يربطه بالإطار الخارجي المحيط بالكلام (السياقية)، وبعضهم يربطه بموقف أطراف الكلام (سياق الموقف)، وبعضهم يربطه بالعلاقة الرابطة بين أطراف الكلام (التخاطبية)، وبعضهم يربطه بالواقع العملي الحياتي(النفعية)، وبعضهم يقود المصطلح إلى فاعليته الاستعمالية (علم الاستعمال)، وبعضهم يربطه بمنطوق الكلام (الملفوظية)، وكلها ترجمات تلحظ جانبا من جوانب المصطلح[١]، ثم يرجح اختيار مصطلح (التداولية)؛ لأنه يحتوي هذه الدلالات (السياق، والاستعمال، والموقف، والنفعية، وأطراف الاتصال، والملفوظ)[٢].

ويفضل د.محمد يونس استعمال مصطلح (علم التخاطب) حيث يقول: أفضل ترجمة مصطلح Pragmatics بعلم التخاطب، وليس بالتداولية، أو النفعية، أو الذرائعية كما يفعل عدد من اللسانيين العرب توهما منهم بأن Pragmatics، وPragmatism شيء واحد، والواقع أن المصطلح الأول يطلق على الدراسات التي تُعنى بالمعنى في السياقات الفعلية للكلام، وهو ما يتفق مع معناها الحرفي، وهو علم الاستعمال. وإذا نظرنا في تراثنا البلاغي والأصولي، فسنلحظ أن الاستعمال- الذي يقابل الوضع عادة- يطلق على النشاط الذي يقوم به المتكلم في عملية التخاطب؛ ولذا، فإن ترجمة Pragmatics بعلم التخاطب أنسب من الخيارات التي اطلعت عليها حتى الآن[٣].

---

(١) د. (عبد المطلب): محمد، التداولية وأفعال الكلام(مجلة فصول، مجلد(١/٢٥) عدد(٩٧) خريف ٢٠١٦م. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص ٦٤).

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) د. (يونس) محمد محمد، مدخل إلى اللسانيات(بيروت، لبنان دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى ٢٠٠٤ م، هامش ص :١٠٢).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

واستخدم د. تمام حسان مصطلح (الماجريات) بديلا عن التداولية[١]. ويقول بأنها: تدل- بأحد معانيها- على مجموع عناصر محيطة بموضوع التحليل، تشمل حتى التكوين الشخصي، والتاريخ الثقافي للشخص؛ ويدخل في حسابها الماضي، والحاضر، والمستقبل، وهذا الاصطلاح -بالنسبة لعلم اللغة- قصد به دائمًا سياق النص، أما في السلوك الكلامي العادي، فكل وضَع -مهما كان- يعتبر عنصرًا من عناصر الماجريات[٢].

وفي العموم يكاد يتفق الباحثون في حقل اللسانيات التداولية على مصطلح (التداولية) حتى صار علما على هذه النظرية، وهو مصطلح بحسب طه عبد الرحمن: يوفي المطلوب حقه باعتبار دلالته على معنيين: الاستعمال والتفاعل معا[٣]، وكان طه عبدالرحمن أول من اختار مصطلح التداولية، عام ١٩٧٠م مقابلا للمصطلح براغماتيقا[٤].

---

(١) د. (أبو حسين) محمد محمود السيد، الدرس التداولي في ضوء علم اللغة الحديث (القاهرة، مكتبة دار الفكر العربي، الطبعة الأولى ٢٠١٠م، ص ٦٥).

(٢) د. (حسان) تمام، مناهج البحث في اللغة، (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية ص ٢٥٢).

(٣) التداولية في معناها اللغوي مأخوذة من التداول، وهو الانتقال من حال إلى حال، يقول ابن فارس: الدَّالُ وَالْوَاوُ وَاللَّامُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَى تَحَوُّلِ شَيْءٍ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ، وَالْآخَرُ يَدُلُّ عَلَى ضَعْفٍ وَاسْتِرْخَاءٍ. أَمَّا الْأَوَّلُ فَقَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: انْدَالَ الْقَوْمُ، إِذَا تَحَوَّلُوا مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ. وَمِنْ هَذَا الْبَابِ تَدَاوَلَ الْقَوْمُ الشَّيْءَ بَيْنَهُمْ: إِذَا صَارَ مِنْ بَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ.(ابن فارس: أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون(دار الفكر: ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م. ٢/ ٣١٤)، وهو بهذا يعني انتقال اللغة وتبادلها بين مستخدميها للتواصل.

(٤) د. (عبد الرحمن) طه: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام(مرجع سابق ص ٢٨).

غير أن (التخاطبية) أو (علم التخاطب) الذي اقترحه د. محمد يونس، يقترب بشكل أو بآخر من مصطلح (تحليل الخطاب) الذي يعد اصطلاحيا نقطة ارتكاز تتقاطع في أكثر العلوم الإنسانية، وكذلك يتشعب إلى أكثر من منهج من سيميائية وتداولية وحجاج وعرفانية، فضلا عن علوم الاتصال بكل وسائطها المتعددة[١]، مما يجعله مناسبا، لكن شيوع مصطلح التداولية جعله الأولى بالقبول في الوسط الأكاديمي.

وقد ظهرت التداولية[٢] كأثر من آثار الانتقال مما يعرف بلسانيات الجملة إلى لسانيات النص، ونشأت كرد فعل للتوجهات البنيوية فيما أفرزته من تصورات صورية مبالغ فيها، خاصة عند اللساني الأمريكي تشومسكي

(١) ينظر: مقدمة رئيس التحرير، عدد تحليل الخطاب(مجلة فصول، مجلد(١/٢٥) عدد(٩٧) خريف ٢٠١٦م. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص ١١).

(٢) يعد الفيلسوف الأمريكي (بيرس) أول من ظهرت ملامح التداولية الأولى على يديه، وذلك مع ظهور مقالته " كيف نجعل أفكارنا واضحة "عام ١٨٧٨م. وقد استقى هذه التسمية من (كانط)؛ حيث ميز بين لفظ براجماتي ولفظ عملي، واللفظ العملي ينطبق على القوانين الأخلاقية، أما البرجماتي فينطبق على قواعد الفن التي تنطبق على التجربة، والبراجماتية عند بيرس منهج في التفكير لا نظرية فلسفية، منهج لتحديد معاني الألفاظ والمفاهيم، أو نظرية في معنى الإشارات لجأ إليها لمعرفة الواقع وربط بينها وبين إثبات واقعية القوانين. ثم جاء من بعده الفيلسوف تشارلز موريس ١٩٣٨م، الذي يعد مع بيرس من المؤسسين المباشرين للتداولية.(ينظر: د. (بوقرة) نعمان، المدارس اللسانية المعاصرة، (القاهرة، مصر، مكتبة الآداب، ط الأولى، ٢٠٠٤، ص١٧١، ١٧٢). على أن التداولية لم تصبح مجالا يعتد به في الدراسات اللغوية المعاصرة إلا في سبعينيات القرن العشرين بعد أن طورها ثلاثة من فلاسفة اللغة المنتمين إلى التراث الفلسفي لجامعة أكسفورد هم: أوستين، وسيرل، وغرايس والغريب أنه لا أحد منهم استخدم مصطلح التداولية فيما كتب من أبحاث. د.(نحلة) محمود أحمد. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر،(ص ٩، ١٠).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وأتباعه، وكذلك الغلو في الاعتماد عند وصف الظواهر اللغوية على التقابل المشهور الذي وضعه دي سوسير بين اللغة والكلام(١).

ويرى د. سعيد بحيري:" أن تحليل النص في علم لغة النص، لا يعرف الاجتزاء، ولا يتوقف عند حدود... ويتحقق التدرج بين المستويات ومراعاة الاختلافات بين الأبنية والدلالات والمقاصد في مقامات وسياقات تواصل اجتماعي... كما أن البحث في النص يضم إلى ما سبق البحث في عناصر خارج النص الفعلي تتعلق بعملية إنتاج النص ودور المؤلف ودور المتلقي وآليات الفهم والاستيعاب والتذكر والاسترجاع والتفسير وغير ذلك(٢).

كما أشار د. محمد حماسة إلى أن من يتصدى لتفسير النص عليه أن يستعين بالعلاقات اللغوية والدلالية التي تحكم النص وتعمل على تماسكه وترابط أجزائه، وقد تكون العلاقات أو الروابط اللغوية واضحة... أما العلاقات الدلالية فإنها متنوعة ومتجددة مع النصوص بحيث يكاد كل نص يبتكر وسائل تماسكه الدلالية... وقد أسهم المفسرون للقرآن الكريم بنصيب وافر في كشف التماسك الدلالي للنص... كما أسهم البلاغيون في بيان ترابط النص وتماسكه من خلال عدد من المعطيات(٣).

---

(١) (الإبراهيمي) خولة طالب: مبادئ في اللسانيات(الجزائر، دار القصبة للنشر، ٢٠٠٠م، ص ١٧٧).

(٢) د. (بحيري) سعيد حسن: علم لغة النص. المفاهيم والاتجاهات(القاهرة، مؤسسة المختار، ط الثانية:١٤٣١هـ- ٢٠١٠م، ص ١٦٣).

(٣) د. (حماسة) محمد: الإبداع الموازي التحليل النصي للشعر(مصر، دار غريب، ٢٠٠١م، ص٣٦).

وقد أحرزت اللسانيات النصية، وتحليل الخطاب، والأسلوبية، والشعرية الحديثة، والتحليل التداولي للخطاب، تقدما معرفيًّا ومنهجيًّا؛ إذ أتاحت للباحثين والقراء أن يقفوا في النص المدروس على عناصر وخصائص وعلاقات لم يكن بوسعهم الوقوف عليها في نحو الجملة[١].

وقد انتقلت (التداولية) بمفهومها الحديث إلى الدرس الأكاديمي العربي بفضل عدد من اللغويين المعاصرين الذي أولوها اهتماما كبيرا، وكشفت مؤلفاتهم وبحوثهم أبعاد هذه النظرية من خلال تتبع نشأتها الغربية، والكشف عن جذورها العربية، وتطبيقاتها التراثية، فجلَّت غوامضها، وأظهرت خوافيها[٢].

وتعددت تعريفات التداولية، ويدور معظمها حول فكرة دراسة اللغة في جانبها الاستعمالي والتخاطبي، ويشير د. عيد بلبع إلى أن تعريفات التداولية جميعها ترتبط بفكرة الاستعمال التي ربما ترددت في التعريفات جميعها بشكل

---

(١) د. (بودرع) نحو قراءة نصية في بلاغة القرآن والحديث، (مرجع سابق، ص٣٠).

(٢) ومن هؤلاء: طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام(مرجع سابق). وتجديد المنهج في تقويم التراث(بيروت، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٥م)، وأحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية(الدار البيضاء، المغرب، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر ، ط ١ ١٩٨٥م). ود. محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر(مرجع سابق). ومسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب(بيروت. لبنان، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط ١، ٢٠٠٥م). و د. محمد محمد يونس: مدخل إلى اللسانيات(مرجع سابق)، وعلم التخاطب الإسلامي. (مرجع سابق)، ينظر: د. (جاد الكريم) عبد الله، التداولية في الدراسات النحوية(القاهرة، مكتبة الآداب، ط الأولى: ١٤٣٥ه-٢٠١٤م). فضلا عن الدراسات الأكاديمية والبحوث الجامعية التي كشفت عن كثير من جوانب هذه النظرية وتطبيقاتها على العربية، ومازالت هذه النظرية في حاجة إلى مزيد من الدراسة والكشف عن جوانبها المتعددة.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

أو بآخر. كما أشار إلى أن (كنت باش Kent Bach) قام بحصر إحصائي لتعريفات التداولية ومفاهيمها، ووجد أنها تدور كلها، حول فكرة الاستعمال التي ترددت في أكثر التعريفات(١).

وتُعني التداولية بدراسة اللغة في سياقاتها الواقعية، لا في حدودها المعجمية أو تراكيبها النحوية، وهي دراسة الكلمات، والعبارات والجمل كما نستعملها ونفهمها ونقصد بها، في ظروف ومواقع معينة(٢).

ويجعلها الفيلسوف تشارلز موريس فرعا من السيميائية semiotics (علم العلامات) إلى جانب علم التراكيب وعلم الدلالة، ويعرفها بأنها: تهتم بدراسة علاقة العلامات بمفسريها(٣). ويصف د. بوقرة هذا التعريف بأنه تعريف واسع يتعدى المجال اللساني إلى السيميائي والمجال الإنساني إلى الحيواني والآلي(٤).

ويعرفها مسعود صحراوي بأنها: مذهب لساني يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه، وطرق وكيفيات استخدام العلامات اللغوية بنجاح، والسياقات والطبقات المقامية المختلفة التي ينجز ضمنها الخطاب، والبحث عن العوامل التي تجعل من الخطاب رسالة تواصلية واضحة وناجحة، والبحث في أسباب الفشل في التواصل باللغات الطبيعية(٥).

---

(١) د. (بلبع) عيد، التداولية البعد الثالث سميوطيقا موريس(مرجع سابق، ص ٣٧، ٣٨).
(٢) د.(مزيد) بهاء الدين محمد، تبسيط التداولية، من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي(القاهرة، شمس للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠٠٠م، ص ١٨).
(٣) نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر(مرجع سابق، ص ٩).
(٤) ينظر: بوقرة: نعمان، المدارس اللسانية المعاصرة(مرجع سابق، ص ١٦٦).
(٥) صحراوي: مسعود، التداولية عند العلماء العرب(دار الطليعة للطباعة والنشر، ط ١، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥م ، ص ٥).

كما يذكر أن التداولية: ليست علما لغويا محضا بالمعنى التقليدي... ولكنها علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال. ..الخ[١].

ويوضح محمود نحلة بعض الأسباب التي أدت إلى صعوبة وضع تعريف جامع مانع للتداولية، منها: أن نشأتها لم تكن لغوية محضة، كما أنها لا تنتمي إلى أي من مستويات الدرس اللغوي، صوتيا كان أم صرفيا أم نحويا أم دلاليا. وأنها ليست فرعا أو مستوى تحليليا من مستويات التحليل اللغوي، كذلك لا تنضوي التداولية تحت علم من العلوم التي لها علاقة باللغة على الرغم من تداخلها مع هذه العلوم في بعض الجوانب[٢].

وإذا كان الدرس اللغوي التداولي يدرس المنجز اللغوي في إطار التواصل وليس بمعزل عنه؛ لأن اللغة لا تؤدي وظائفها إلا فيه[٣]؛ فإن القول بأن التداولية ليست علما لغويا أمر يحتاج إلى المراجعة. ونرى أن القول بأنها ليست فرعا أو مستوى تحليليا من مستويات التحليل اللغوي؟ أمر يتنافى مع تداخل التداولية مع المستوى الدلالي الذي يبحث في المعنى من خلال العلاقات الداخلية والخارجية بين الألفاظ وبين النصوص.

فمستوى الدلالة يدرس مكونات المعنى اللغوي وعناصره، واختلاف المعاني باختلاف المنشئين للتراكيب اللغوية وأهمية الكلمة ودورها في أداء

---

(١) صحراوي: التداولية عند العلماء العرب(مرجع سابق، ص ١٦).

(٢) نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر(مرجع سابق، ص١٠، ١١).

(٣) الشهري: عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية(بيروت، لبنان، دار الكتاب الجديد ، ط ١، ٢٠٠٤ ص ٢٣).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المعنى للغوي داخل التراكيب، كما يدرس ربط الكلام بمقام استعماله، ومراعات مقتضى حاله(١).

وفي العموم فالتداوليات قد تجاوزت سؤال البنية وسؤال الدلالة، لتهتم بسؤال الوظيفة والدور والرسالة والسياق الوظيفي، كما تُعنى المقاربة التداولية بفهم العلاقات الموجودة بين المتكلم والمتلقي ضمن سياق معين(٢).

وتبحث التداولية في الإشارة، وتسمى العناصر الإشارية أو الإحالية، والافتراض السابق، والاستلزام الحواري أو المحادثي، والأفعال الكلامية، واستخدم بعضهم متضمنات القول(٣).

كما تدرس التداولية المقصدية والوظيفية والسياق والحجاج اللغوي والإقناع وتستند المقاربة التداولية كذلك إلى تخصصات عدة، فهناك تداولية تحليلية، وتداولية تلفظية، وتداولية نفسية اجتماعية، وتداولية نصية، وتداولية سوسيو- لغوية(٤).

التداولية في التراث العربي:

والبحث التداولي بمفهومه الحديث كان حاضرا وبقوة في التراث العربي بشكل عام؛ سواء اللغوي، أم البلاغي، أم الأصولي، أم غيرها من العلوم، ويذهب د. محمود نحلة إلى أن تراثنا اللغوي الموزع بين كتب

(١) د. (زهران) البدراوي: مقدمة في علوم اللغة (القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٧م ص ١٥٦).
(٢) (حمداوي) جميل، التداوليات وتحليل الخطاب(مرجع سابق ص ٤ ، ٦).
(٣) د. (عكاشة) النظرية البراجماتية اللسانية التداولية، دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ(مرجع سابق. ص ٨٢، ٨٣).
(٤) حمداوي: التداوليات وتحليل الخطاب(الطبعة الأولى ٢٠١٥م، ص ٧).

النحو، واللغة، والبلاغة، والفقه، وأصول الفقه، والتفسير، والقراءات، يحمل اتجاهين يماثلان اتجاهي النظريات اللسانية المعاصرة؛ أحدهما: يعنى بالنظام اللغوي. والثاني: يعنى بالمقام وما يتصل به... وأن وراء ذلك كله نظرية تداولية محكمة تنتظر من يكشف عن جانبيها التنظيري والتطبيقي(١).

كما تعد الدراسات البلاغية التراثية من الأعمال التي تطرقت إلى ما يقتضيه المنهج التداولي، إذ يتضح ذلك في بعض الأعمال، ومنها دراسات السكاكي في مفتاح العلوم، والجرجاني في أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز، والجاحظ في البيان والتبيين، والخفاجي في سر الفصاحة، كما اقتضت الحاجة في دراسات الأصوليين إلى الإلمام بالمنهج التداولي وآلياته(٢).

وقد أشار محمد العمري في كتابه البلاغة العربية إلى أن التداولية الحديثة هي بُعد جاحظي في أساسه؛ لاهتمام الجاحظ وتركيزه على عملية التأثير في المتلقي والإقناع، وقد سميت عنده بنظرية التأثير والمقام، فقد اهتم الجاحظ بالجانب التأثيري الذي يمثل جانبا مهما في التداوليات الحديثة(٣).

إن المنهج التداولي بصورته الحديثة، وشكله التراثي ينظر إلى اللغة بوصفها كلاما حيًّا منجزا في سياق معين يتلقاه المتلقي بإدراكه وشعوره، محاولا فك رموزها وإشاراتها وتصريحها وتلميحها، من خلال ما ينتجه الخطاب من أثار سلوكية تنقل الملفوظ من الوجود النطقي إلى الوجود الفعلي،

---

(١) نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مرجع سابق (ص ٨٤، ٨٥).

(٢) الشهري: استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية(مرجع سابق المقدمة ص x، xi).

(٣) ينظر: العمري محمد: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها(إفريقيا الشرق، المغرب، ١٩٩٩، ص٢٩٣).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ويتحول فيه المجرد إلى محسوس، وبهذه الرؤية تتوطد دلالات الكلام بقرائن اللغة وأحوال المقام من حركات جسمية، وتنغيمات صوتية وثقافة سائدة تؤطر الفعل المنجز، وتوجهه لغايات نفعية معينة يرتضيها المنجز، ويتقبلها المتلقي، وتتلخص الفلسفة التداولية الحديثة في حقيقة تداولية كبرى، وهي أن لا كلام إلا بين اثنين، حتى وان كان الكلام بين المتكلم وذاته وفي هذه الحال ستكون علاقة المتكلم بالمستمع ضمن علاقة العارض للفكرة والمعترض عليها، ولا يكون الاعتراض إلا بدليل، ولا معترض إلا لطلب الصواب، ولا طلب للصواب إلا بجملة من القواعد(١).

وفي ظني أن مفهوم التداولية يتلخص في هذه الآية: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ"[إبراهيم: ٤]، فليست اللغة هي الألفاظ والجمل مجردة عن سياقها الزماني والمكاني والثقافي فحسب، ولا يمكن فهمها بعيدا عن قصد الملقي ولا ثقافة المتلقي، كما أن التبيين يقتضى معرفة ومعايشة تامة لثقافة المجتمع؛ لأن الدلالات وإيحاءاتها إنما تكتسب من ثقافة المجتمع. ولفهم قصدية المتكلم لا بد من استحضار السياقات الزمانية والمكانية والثقافية وغيرها.. كما أنها تشير إلى نفعية اللغة ووظيفيتها، فضلا عن أن مصطلح لسان في عرف الدرس اللغوي المعاصر أشمل وأعم من مصطلح لغة.

(١) د. (بوقرة) نعمان، ملامح التفكير التداولي البياني عند الأصوليين، مجلة: إسلامية المعرفة السنة: ١٤ العدد ٥٤، خريف ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م، ص ١٠٩).

ثانيا: الخطاب القرآني والفهم التداولي

مفهوم الخطاب:

أخذ مصطلح الخطاب في الثقافة المعاصرة بُعدا فلسفيا ومعرفيا أوسع، وأصبح يستخدم في ميادين معرفية مختلفة؛ كالأدب، والسياسة، والاجتماع، والإعلام...الخ؛ فهناك الخطاب الأدبي، والخطاب السياسي، والخطاب الفلسفي، والخطاب الاجتماعي... وغير ذلك، وهو بذلك يحمل مضامين الحقل العلمي أو المعرفي الذي ينتمي إليه، ويدخل في هذا الإطار الخطاب القرآني والخطاب الديني أو الإسلامي.

والخطاب ممارسة اجتماعية لا تنفصل فيه اللغة عن الموقف أو المنطوق عن الفعل، إنه عملية من عمليات الاتصال وإنتاج المعنى التي تكسبه الأبعاد المختلفة، التي تضمن له الانسجام وشروط التواصل من خلال دورانه ضمن معايير الاتصال الأدبي العام(١).

والخطاب في اللغة: مصدر من الفعل الرباعي (خاطب)، الذي يقتضي المشاركة بين اثنين أو أكثر، يقول ابن فارس:" الْخَاءُ وَالطَّاءُ وَالْبَاءُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا الْكَلَامُ بَيْنَ اثْنَيْنِ، يُقَالُ خَاطِبُهُ يُخَاطِبُهُ خِطَابًا...(٢).

ويقول الفيومي:"خَاطَبَهُ مُخَاطَبَةً وَخِطَابًا وَهُوَ الْكَلَامُ بَيْنَ مُتَكَلِّمٍ وَسَامِعٍ"(٣).

---

(١) د. (الجودي) لطفي فكري محمد، جمالية الخطاب في النص القرآني(مؤسسة المختار ، القاهرة ، ط الأولى ١٤٣٥ه- ٢٠١٤م، ص٧١).

(٢) ابن فارس: أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون(دار الفكر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. ١٩٨/٢).

(٣) الفيومي: أحمد بن محمد بن علي، المصباح المنير(بيروت، المكتبة العلمية - ١٧٣/١)

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وفي الاصطلاح: يذكر الكفوي أن: الْخطاب: اللَّفْظ المتواضع عَلَيْهِ الْمَقْصُود بِهِ إفهام من هُوَ متهيئ لفهمه(١).

وقد ورد مصطلح (الخطاب) في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع منها: قوله تعالى:﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ [ص:٢٠]، وفي معنى فصل الخطاب يقول الزمخشري: البيِّن من الكلام الملخص الذي يتبينه من يخاطب به لا يلتبس عليه(٢). ويقول ابن الخطيب: فصل الخطاب عبارة عن كونه قادرا على التعبير على كل ما يخطر بالبال، ويحضُر في الخيال، بحيث لا يخلِط شيئاً بشي، وبحيث يفصل كُلّ مقام عمّا يخالفه(٣).

ولا تخرج تعريفات المحدثين كثيرا عن هذه التعريفات؛ ولعل أبسط تعريف للخطاب من وجهة نظر لسانيّة، ما ذهب إليه اللساني الفرنسي المعروف (إ.بينفنيست) من أن الخطاب هو كل تلفّظ يفترض متحدثا وسامعا تكون للطرف الأول نيّة التأثير في الطرف الثاني بشكل من الأشكال(٤).

وفي معجم المصطلحات الأدبية الحديثة لـ(محمد عناني) الخطاب ومعناه، اللغة المستخدمة، أو استخدام اللغة (Language in use) لا اللغة

---

(١) الكفوي: أيوب بن موسى الحسيني، الكليات ، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري (مؤسسة الرسالة – بيروت، ص ٤١٩).

(٢) الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (دار الكتاب العربي – بيروت، ط: الثالثة – ١٤٠٧هـ. ٤/٨٠).

(٣) ينظر: ابن عادل الدمشقي الحنبلي، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض(دار الكتب العلمية– بيروت/ لبنان– ط: الأولى ١٤١٩هـ –١٩٩٨م، ١٦/ ٣٩٣).

(٤) ينظر: الباردي: محمد، إنشائية الخطاب في الرواية العربية الحديثة(دمشق، من منشورات اتحاد الكتّاب العرب،٢٠٠٠م. ص ٨).

باعتبارها نظاما مجردا، ولكن ثمة ضروبا منوعة من الدلالات لهذا المصطلح، حتى في نطاق علوم اللغة(١).

والخطاب بحسب د. محمد يونس: هو النّص اللغوي بعد استعماله، وهو وسيلة المتخاطبين في توصيل الغرض الإبلاغي من المخاطب إلى المخاطب، ويتسم بأنه كتلة بنيوية واحدة متماسكة الأجزاء(٢).

وهي تعريفات تختلف وتتفاوت بحسب الحقل المعرفي والفلسفي الذي ينتمي إليه الخطاب؛ لذلك يتعدد النظر للخطاب بحسب المجال الذي يتداول فيه؛ فمصطلح الخطاب بحسب (دومونيك مانغونو) من حيث معناه العام المتداول في تحليل الخطابات يحيل على نوع من التناول للغة أكثر مما يحيل على حقل بحثي محدد؛ فاللغة في الخطاب لا تعد بنية اعتباطية بل نشاطا لأفراد مندرجين في سياقات معينة... ويدخل كذلك في سلسلة من التقابلات؛ حيث يكتسي قيما دلالية أكثر دقة. كما أنه يتكون من وحدة لغوية قوامها سلسلة من الجمل... أو وحدة لغوية ملفوظة تشكل وحدة اتصال مرتبطة بظروف إنتاج معينة(٣).

---

(١) د.(عناني): المصطلحات الأدبية الحديثة، دراسة ومعجم انجليزي عربي(مرجع سابق ص ٩).

(٢) د.(يونس): المعنى وظلال المعنى. أنظمة الدلالة في العربية(دار المدار الإسلامي، ط الثانية ٢٠٠٧، ص ١٥٧).

(٣) مانغونو: دومونيك، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة: محمد يحياتن (منشورات الاختلاف. الدار العربية للعلوم ناشرون. ط: الأولى: ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م. ص ٣٨).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ويفرق (دومونيك مانغونو) بين اللغة والخطاب؛ فاللغة نظام مشترك بين أفراد الجماعة اللغوية، بينما الخطاب هو استعمال محدد لهذا النظام،[١]. ويطلق (فوكو) مصطلح خطاب على مجموع الملفوظات التي تنتمي إلى تشكيلة خطابية واحدة[٢].

وهناك فرق بين النص والخطاب تنقله سارة ميلز عن مايكل شورت: الخطاب تواصل لغوي، ينظر إليه باعتباره عملية تجري بين متكلم ومستمع أو تفاعل شخصي يحدد شكله غرضه الاجتماعي، والنص تواصل لغوي سواء شفاهي أو مكتوب، ينظر إليه باعتباره رسالة مشفرة في أدائها السمعية أو البصرية[٣].

ومن هنا فالخطاب كما يظهر في الدراسات المختلفة عملية اتصال تتم في إطارين: الإطار اللغوي، فقد يكون متوالية من الجمل المكتوبة أو المنطوقة ينتجها مرسل واحد أو عدة متخاطبين... وإطار غير لغوي: يشمل العادات والأعراف والتقاليد والأخلاق... والخطاب باعتباره حدثا كلاميا يتألف من عدة عناصر: هي المرسل، والمستقبل أو الجمهور، والرسالة أو الموضوع، والهدف، ويؤثر هذا الهدف تأثيرا جليا في استراتيجية المرسل؛ فيملي عليه اختيارات معينة من بين البدائل التي يتيحها له النظام اللغوي[٤].

---

(١) المرجع السابق نفسه (ص ٣٩).

(٢) المرجع السابق نفسه (ص٤٠).

(٣) ميلز: سارة، الخطاب، ترجمة: عبد الوهاب علوب(القاهرة، المركز القومي للترجمة ٢٠١٦م، ص١٥، ١٦).

(٤) العموش: خلود، الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق(الأردن، عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م ص ٢٣).

ويستند التواصل اللساني حسب رومان جاكبسون (Roman Jackobson) إلى ستة عناصر أساسية، وهي: المرسل، والمرسل إليه، والرسالة، والقناة، والمرجع، واللغة.

وعليه، فكثير من النصوص والخطابات والصور عبارة عن رسائل يرسلها المرسل إلى مرسل إليه، حيث يحول المتكلم رسالته إلى نسيج من الانفعالات والمشاعر والأحاسيس الذاتية. ومن ثم يتخذ المرسل بعدا ذاتيا قوامه التعبيرية الانفعالية. إذن يتحول الخطاب اللفظي أو غير اللفظي إلى رسالة، وهذه الرسالة يتبادلها المرسل والمرسل إليه، فيساهمان في تحقيق التواصل المعرفي والجمالي، وهذه الرسالة مسننة بشفرة لغوية، يفككها المستقبل، ويؤولها بلغته الواصفة. وتتجسد هذه الرسالة ذات الوظيفة الشاعرية أو الجمالية عن طريق إسقاط المحور الاستبدالي على المحور التأليفي، أو إسقاط محور الدلالة والمعجم على محور التركيب والنحو انزياحا أو معيارا(١).

ويفرق (دومونيك مانغونو) باعتبار التصورات الصريحة والتصورات التأويلية للخطاب، بين ثلاث حالات:

- الأشكال الصريحة ذات الدلالة الواحدة (الخطاب المباشر أو الخطاب غير المباشر).

- الأشكال الموسومة لغويا ولكنها تتطلب عملا تأويليا.

(١) حمداوي: جميل، نظريات وظائف اللغة(صحيفة المثقف صحيفة الكترونية يومية مستقلة- مؤسسة المثقف العربي، العدد. ٢٠٩٤ الاربعاء: ١٨/ ٤/ ٢٠١٢م).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

– الأشكال التأويلية الصرفة (الخطاب غير المباشر، التلميحات، الاستشهادات المخفية)، وهذه يؤدي فيها السياق الداخلي دورا حاسما، وكذلك ثقافة المتلفظ المشارك وما يعرفه عن المتلفظ، ونوع الخطاب الذي ينتمي إليه الملفوظ[١].

وهذا الشكل الثالث الذي أشار إليه (دومونيك مانغونو)، يلزمه معرفة ودراية بالسياق الداخلي والسياق الخارجي المتمثل في معرفة المفسر أو المؤول للخطاب بثقافة المُخاطِب (بكسر الطاء) وإحاطته بكل الجوانب المتعلقة بالخطاب، وهذا يحيلنا إلى الشروط التي وضعت للمفسر[٢] للخطاب القرآني، وأن أي تأويل أو تفسير لا يراعي هذه الشروط فإنه لن يصل إلى مقصدية معتبرة ومعتد بها للخطاب القرآني.

ويشير محمد خطابي إلى أنه من أجل تأويل العناصر التي ترد في خطاب ما، من الضروري أن نعرف من هو المتكلم، ومن هو المستمع، وزمان ومكان إنتاج الخطاب[٣]، فشخصية المتكلم ومعتقداته ومقاصده، وتكوينه الثقافي ومرجعياته الفكرية، والمعرفة المشتركة بين المتخاطبين والوقائع الخارجية؛

---

(١) مانغونو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة: محمد يحياتن (مرجع سابق ص٤٢ ، ٤٣).

(٢) ينظر في شروط المفسر: السيوطي: جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم(القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، ٢٠٠/٤ وما بعدها)، كما ينظر: القطان: مناع بن خليل، مباحث في علوم القرآن(مكتبة المعارف للنشر والتوزيع: ط الثالثة ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م، ص ٣٤٠)، ومن هذه الشروط التي ذكرها مناع القطان: العلم باللغة العربية وفروعها...

(٣) خطابي، محمد .لسانيات النص(بيروت، المركز الثقافي العربي، ط: الأولى ١٩٩١م ، ص ٢٩٧).

كالظروف المكانية والزمنية، والعلاقات والأعراف الاجتماعية، كل ذلك يعد من المرتكزات التي تساعد في فهم الخطاب وبيان القصد(١).

الخطاب القرآني والبعد التداولي:

ولا يخرج الخطاب في القرآن الكريم عن مفهوم الخطاب عامة وعناصره ووظائفه فهو يتضمن: مرسل، ومتلقي، ورسالة، وسياقات داخلية وخارجية، وقناة توصيل وهي المشافهة أولا واللغة المكتوبة ثانيا، كما يتضمن شفرات لغوية.

والخطاب القرآني خطاب إلهي معجز" لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ" [فصلت: ٤٢] هذه سمة تجعله متفردا عن الخطابات البشرية، فهو خطاب متكامل، يمتلك من الأدوات والآليات التي تجعله رسالة ربانية عالمية تتجاوز الزمان والمكان، تخاطب الناس جميعا على اختلاف مداركهم ومشاربهم، لا تقف عند حدود جغرافية أو عرقية، من هنا كان حاملا لوسائل وأساليب متعددة ومتنوعة، بحسب تعدد وتنوع البشر في أفكارهم ومعتقداتهم.

وهو هنا يحتاج إلى قراءة متكاملة ونظرة شاملة لمقاصده وطرق تأويله وتفسيره. ولا يمكن النظر إليه على أنه مجرد أوعية لغوية لفظية محملة بدلالات لغوية فحسب، وإنما لها أبعاد نفسية وأخرى فكرية أعمق من ذلك وأجدر بالملاحظة والتتبع والبحث، فلا يمكن فهم الخطاب القرآني واستنباط الأحكام منه إلا في ظل تكامل وإلمام بالأسرار اللغوية، والقيم

(١) ميلود مصطفى عاشور. القصدية في النص الأدبي :دراسة لسانية(مجلة الرواق، جامعة لندن المفتوحة، السنة الأولى، العدد الأول ٢٠١٥م. ص ١١٢).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الثقافية، والمفاهيم العلمية والفكرية، والممارسات الاجتماعية، والخبرات الإنسانية(١).

والمتلقي في الخطاب القرآني عنصر متضمن في الخطاب نفسه، ولا يتم التواصل اللساني إلا به... وهذا ما يجعل القرآن بوصفه خطابا وهو يرتحل في الأزمنة يختلف في لحظة استقباله قراءة وتأويلا عن لحظة نزوله وحيًا؛ إذ إنه كامل كمال منزله ومرسله، ولكنه حينما يغادر مرسله يكون على مثال قارئه ومفسره... من هنا كانت تعددية الفهم بحسب تعددية التلقي، ولعل المدونة التفسيرية الكبرى للنص القرآني منذ بدايتها الأولى وإلى اليوم أبلغ دليل على هذا التوجه(٢).

ومن هنا تكمن العلاقة بين التداولية والدراسات التفسيرية للخطاب القرآني، من حيث إن دراسات المفسرين وتفاسيرهم تداولية إلى حد بعيد؛ فقد استأثروا بفهم طرق تأليف اللفظ، ووجه استعمال الكلام، وبفهم مقاصد الخطاب وسياقه وأغراضه، كما بحثوا في المعنى وأنواعه، ومن هذا الإطار ينخرط الخطاب التفسيري في مقولات: التواصل/ الحوار/ المعنى/ التأويل، وهي مفاهيم لا تخرج عن الدرس التداولي(٣).

كما أن التداولية تسعى إلى كفاءة تواصلية تداولية، تعنى بالسبل السليمة للتلفظ في مجالات الحوار والاتصال، ومن ثمة صياغة قوانين تضمن لكل مخاطبة إفادة... وتحصر المعاني المتداولة بين مرسل ومرسل

(١) ينظر: د. (الجودي)، جمالية الخطاب في النص القرآني(مرجع سابق ص٩٦).
(٢) المرجع السابق نفس الصفحة.
(٣) ينظر: بومنقاش: الرحموني، الضوابط التداولية للنص الديني. التفسير أنموذجا(الرباط، المملكة المغربية، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، ص ٦).

إليه في معاني صريحة وحقيقية وواضحة، وترتكز هذه القواعد والقوانين على اللغة، فتجعل منها الأداة المحققة للتواصل الناجح؛ ذلك أن اللغة هي بمثابة الجوهر الذي يمكن للأفكار التي لا يتسنى نقلها مباشرة، لأنها مجردة أن تصبح من خلالها قابلة للنقل بواسطة الجمل التي نعبر بها(١).

والتداولية بهذا تضبط عملية التأويل والتفسير، ولا تفتح المجال لأي أحد إلا أن يكون منطلقا من روح الوحي ومتشربا لمعانيه وعالما بسياقاته الداخلية والخارجية، وبهذا تعد التداولية بآلياتها وضوابطها نظرية آمنة إلى حد كبير لتناول الخطاب القرآني من خلالها. وهذا الأمر يخص التأويل والتناول المنهجي للخطاب القرآني، والذي يتمثل في المشتغلين بعلم التفسير أو المهتمين بالخطاب الديني بشكل عام، ويدخل فيه ضمنا الخطاب القرآني، إلى جانب ذلك فهناك معان قد تتشكل في العقل الجمعي بفعل الثقافات والقراءات الفكرية المتعددة للخطاب القرآني، وهنا يتعدد الفهم ويتنوع، وقد يتعارض لأنه يخضع لاعتبارات فكرية وثقافية لصاحبه تبتعد أو تقترب من روح الفطرة ومشارب الوحي المنزل.

ويحمل الخطاب القرآني بُعدين أساسيين هو بُعد الموعظة الذي يعتمد على التأثير القلبي والإيماني، وبُعد التشريع ويعتمد على النظر والعقل والتفكير، فبُعد الموعظة لا يحتاج إلى إعمال العقل، ومن ثم فإنه مشترك عام، بينما بُعد التشريع يحتاج دراية ودراسة ومعرفة.

يقول ابن عاشور: مِنْ أَعْظَمِ الْأَسَالِيبِ الَّتِي خَالَفَ بِهَا الْقُرْآنُ أَسَالِيبَ الْعَرَبِ أَنَّهُ جَاءَ فِي نَظْمِهِ بِأُسْلُوبٍ جَامِعٍ بَيْنَ مَقْصِدَيْهِ وَهُمَا: مَقْصِدُ الْمَوْعِظَةِ

(١) المرجع السابق نفس الصفحة.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وَمَقْصِدُ التَّشْرِيعِ، فَكَانَ نَظْمُهُ يَمْنَحُ بِظَاهِرِهِ السَّامِعِينَ مَا يَحْتَاجُونَ أَنْ يَعْلَمُوهُ، وَهُوَ فِي هَذَا النَّوْعِ يُشْبِهُ خُطَبَهُمْ، وَكَانَ فِي مَطَاوِي مَعَانِيهِ مَا يَسْتَخْرِجُ مِنْهُ الْعَالِمُ الْخَبِيرُ أَحْكَامًا كَثِيرَةً فِي التَّشْرِيعِ وَالْآدَابِ وَغَيْرِهَا، وَقَدْ قَالَ فِي الْكَلَامِ عَلَى بَعْضِهِ: "وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ" [آل عمرَان: ٧] هَذَا مِنْ حَيْثُ مَا لِمَعَانِيهِ مِنَ الْعُمُومِ وَالْإِيمَاءِ إِلَى الْعِلَلِ وَالْمَقَاصِدِ وَغَيْرِهَا(١).

وينبغي أن نشير هنا إلى نوع آخر من أشكال التلقي والتعامل مع الخطاب القرآني، وهو نوع يرجع إلى خلفيات فكرية وسياسية وثقافية. من هنا تتنوع وتتعدد التفسيرات للخطاب القرآني، والتي يكتسبها صاحبها ويتشربها وتتشكل من خلالها رؤى فكرية معينة، وبعضها قد يكون مقتربا أو مبتعدا من مقصدية النص بدرجات متفاوتة، وينبني على هذه التفسيرات رؤى فكرية تتسرب إلى العقل الجمعي بنسب متفاوتة في بعض الأحيان، فالمسلم البسيط غير المؤدلج- مثلا- في تلقيه للخطاب القرآني يتلوه بروح الفطرة، فلا ينشغل كثيرا بإسقاطات فكرية أو سياسية خاصة، أو تفسيرات وتأويلات متأثرة ببيئة جغرافية خاصة.. أو بحقب تاريخية معينة.. لأنه يتلو القرآن أو يسمعه تعبدا وتصديقا. ويتلقاه بروحه وقلبه.. وعقل خال من شوائب الفكر وشواغل الخاطر.. ومن خلال سياقات القرآن ومقاصده الكبرى فإنه قد يفهم المقصود من الآية بشكل عام، وينشغل بالمعاني الوعظية التي ينصلح بها حاله إيمانيا وتعبديا وأخلاقيا وغير ذلك.. ولا ينشغل بالتفاصيل التي قد يوظفها المتلقي المتأثر برؤية فكرية معينة لصالح ما يؤمن به من

(١) ابن عاشور: محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير(الدار التونسية للنشر- تونس: ١٩٨٤هـ. ١/ ١١٥، ١١٦).

أفكار، وما يتناسب مع رؤاه الخاصة. أو تلك الأفكار التي تسلب آيات القرآن من قدسيتها.

فقراءة النص القرآني- مثلا- في سياقات تنظيمية خاصة، أو لتمرير رؤى فكرية أو سياسية خاصة، كرَّس لمزيد من الفرقة والتشاحن المضاد، وانعزال طوائف نفسيًّا ومجتمعيًّا عن سياق الأمة الجامع. يضاف إلى ذلك قراءته في سياقات طائفية أو سياقات حداثية تخرجه من جلاله وقدسيته؛ فالنص القرآني أكبر من أن يختزل في سياق خاص يضيق بضيق أفق مؤوله، فضلا عن إخراجه من كونه كتاب هداية للبشرية كلها، إلى أداة للتشاحن المضاد، وانتصار كل طرف لما يراه هواه..

والسياق البيئي أو السياق الأيدلوجي أو حتى التاريخي الذي يفهم من خلاله الخطاب القرآني، ويسوق على أنه الفهم الصحيح دون سواه يضر كثيرا بنقاء الدين وصفائه، وكونه دين هداية للبشرية بكل تنويعاتها، وفي كل عصورها، قبل أن يكون حكرا على رؤية خاصة تختزله في رؤى فكرية خاصة، أو تطوع نصوصه لتتوافق مع انتماءاتها العرقية او البيئية أو الأيدلوجية. فجلال القرآن أكبر من أن يفهم في سياقات خاصة تسهم في تنازع، وتنفخ في فرقة، أو تنحرف في فهم مراده، وتتعارض مع مقاصده الكبرى.

وهذا يحيلنا للحديث عن أهمية المقصدية والسياق وتوظيفهما في فهم الخطاب القرآني.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المبحث الثاني

المقصدية والسياق وتوظيفهما في فهم الخطاب القرآني

المقصدية:

إن المقصدية بوصفها مبحثا لسانيا ينتمي إلى التداوليات الحديثة- حاضرة في تراثنا العربي تنظيرا وتطبيقا، وإن كانت المقصدية تراعي ملابسات كثيرة تتعانق مع النص، وتتشارك في إنتاج دلالات متعددة من ورائه، فإنها في المقام الأول ترجع إلى حالة المتلقي، وما يكتنفه من تصورات، وما يؤمن به من رؤى وأفكار. فالنص قد تؤخذ منه دلالات متعددة، لكن هذه الدلالات تختلف في النص البشري عنها في النص المقدس قرآنا وسنة صحيحة؛ إذ المقصدية هنا ستكون محكومة بضوابط وقواعد تحيل هذه الدلالات إلى معان تتوافق مع المقاصد الكبرى للدين وللشريعة.

من هنا كانت هناك ضوابط حاكمة على المفسرين والفقهاء وغيرهم من المعنيين بالنص القرآني وخطابه، وتغدو مقصدية الخطاب القرآني مقيدة بمقاصد الإسلام الكبرى، ولا يعد هذا غلقا لباب البحث والنظر في القرآن الكريم، لأن هذه الضوابط كانت الشغل الشاغل لجُل الدراسات اللغوية قديما. وقد تعددت النصوص التفسيرية للخطاب القرآني قديما، وأنتج هذا التعدد تعدد المذاهب الفكرية والعقدية على امتداد التراث الفكري، فقراءات الشيعة تختلف عن قراءات المعتزلة، وتختلف قراءات كل منهما عن غيرها من القراءات الأخرى، من هنا كان هناك حرص تراثي على ضبط هذه القراءات، ووضعها في ميزان مقاصد عُليا حاكمة على جميع هذه التفسيرات المختلفة والمتضاربة في بعض الأحيان.

فإعمال المقصدية في تأويل القرآن الكريم يعصم القارئ من إنتاج تأويلات تصطدم مع المقاصد الربانية، ويمكن صياغة القاعدة التأويلية الآتية: كل تأويل تعارض كلًّا أو جزءا مع مقصد من مقاصد الشريعة فهو تأويل فاسد كلًّا أو جزءا(١).

والباحثون في اللغة جميعهم يجعلون المميز الأساسي بين لغة الإنسان وغيره هي المقصدية، ولكن هناك من قصرها على ما ورد فيه جذرها صراحة أو ضمنا (بارت parret)، ومنهم من جعلها مسبقة (كريماص Greimas)، ومنهم من جعلها ميكانيكية موجهة (أوستين وكرايس وسورل)، بيد أنها لا تقتصر على المتكلم، ولكنها تشمل المخاطب أيضا، ولهذا قد تتفق المقصديتان درجات من الاتفاق وقد تختلفان درجات من الاختلاف (نظرية التلقي)(٢).

والمقصدية في اللغة: مأخوذة من القصد، ويدور معناه حول التوجه والطلب، يقول الفيومي: قَصَدْتُ الشَّيْءَ وَلَهُ وَإِلَيْهِ قَصْدًا مِنْ بَابِ ضَرَبَ طَلَبْتُهُ بِعَيْنِهِ، وَإِلَيْهِ قَصْدِي وَمَقْصِدِي بِفَتْحِ الصَّادِ وَاسْمُ الْمَكَانِ بِكَسْرِهَا، نَحْوُ مَقْصِدٍ مُعَيَّنٍ...(٣).

ولا تخرج هذه المعاني اللغوية عن المعاني الاصطلاحية؛ فالمقصدية أحد المفاهيم الأساسية في اللسانيات الحديثة والركيزة الرئيسية الفاعلة في

(١) (تاج الدين) المصطفى، النص القرآني ومشكل التأويل (مجلة: إسلامية المعرفة، العدد ١٤، ١٩٩٨م – ١٩٩٩م، ص ٢٥).

(٢) (مفتاح): محمد، دينامية النص، تنظير وإنجاز(بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٨٧ م ص ٣٨).

(٣) الفيومي: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (مرجع سابق ٢/ ٥٠٤).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

التداولية، وتحدد المقصدية كيفية التعبير والغرض المتوخى، فكل ما في النص يدل ويحيل ويحمل وظائف سياقية متنوعة، سواء أكانت نصية داخلية أم مقامية خارجية(١).

ومفهوم القصديّة (Intentionality)، مفهوم فلسفيّ أساسا انتقل إلى اللّسانيّات، وكان من أبرز المفكّرين الّذين عملوا على هذا المفهوم هو (جون سيرل) الّذي يعتبر أنّ القصديّة هي إحدى سمات العقل الثّلاث، وهي: سمة العقل الّتي توجّه الحالات العقليّة أو تتعلّق بها حالات عقليّة أو تشير، أو تهدف إليها في العالم(٢).

وقد أنشأ غرايس مبادئ عامة تؤسس لمقاصد المخاطبين والمشاركين في عملية التخاطب، وانطلق من أن الناس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون، وقد يقصدون أكثر مما يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون، فجعل همَّه إيضاح الاختلاف بين ما يقال وما يقصد، فما يقال هو ما تعنيه الكلمات والعبارات اللفظية، وما يقصد هو ما يريد المتكلم أن يبلغه للسامع... وحلًّا لهذا الإشكال وضع مبدأ التعاون بين المتكلم والمخاطب؛ وهو مبدأ حواري عام يشتمل على أربعة مبادئ هي:

مبدأ الكمّ: اجعل مساهمتك في الحوار بالقدر المطلوب من دون زيادة أو نقص.

---

(١) (حمداوي): التداوليات وتحليل الخطاب(مرجع سابق ص ١٥).

(٢) سيرل: جون: العقل واللّغة والمجتمع، ترجمة سعيد الغانمي(منشورات الاختلاف، ٢٠٠٦، ط الأولى، ص ١٠٢).

مبدأ الكيف: لا تقل ما تعتقد أنه غير صحيح ولا تقل ما ليس عندك دليل عليه.

مبدأ المناسبة: اجعل كلامك ذا علاقة بالموضوع.

مبدأ الطريقة: كن واضحا ومحددا فتجنب الغموض وتجنب اللبس وأوجز ورتب كلامك(١).

ويقصد جرايس بهذه المبادئ أن الحوار بين البشر يجري على ضوابط وتحكمه قواعد يدركها كل من المخاطب والمتكلم... لكن من الوارد أن تنتهك هذه المبادئ ولا يلتزم بها في الحوار، وهذا الأمر يولد ما يعرف بـ الاستلزام الحواري الذي يسعى فيه المتلقي إلى الوصول إلى قصد المتكلم(٢).

ويختلف مفهوم القصد عند التداوليين عن مفهومه عند علماء العربية، فهو أساس النظرية التداولية عند التداوليين، وهو مبني على فهم المتلقي لا مراد المتكلم، أما علماء العربية فجعلوا القصد غاية المتكلم؛ فاللغة تعبر عن أغراض متكلميها وكل خطاب له قصده(٣).

---

(١) د. (نحلة): آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر(مرجع سابق ص ٣٤).

(٢) المرجع السابق نفسه(ص ٣٥).

(٣) د. (عكاشة): النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية)، دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ (مرجع سابق ص٣١).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

والقصد كما يرى الأصوليون محدد عند المتكلم، وثابت لا يتغير؛ لذلك يتخذ من الوسائل الكلامية والمقامية ما يعين السامع على إدراك ما يريد، وتتفاوت مراتب السامعين في إدراك مقصود المتكلمين(١).

ولابن القيم إشارات مهمة في المقصدية وأبعادها من ذلك: يقول مبينا ماهية القصد:" وَالتَّعْوِيلُ فِي الْحُكْمِ عَلَى قَصْدِ الْمُتَكَلِّمِ، وَالْأَلْفَاظُ لَمْ تُقْصَدْ لِنَفْسِهَا وَإِنَّمَا هِيَ مَقْصُودَةٌ لِلْمَعَانِي، وَالتَّوَصُّلُ بِهَا إِلَى مَعْرِفَةِ مُرَادِ الْمُتَكَلِّمِ، وَمُرَادُهُ يَظْهَرُ مِنْ عُمُومِ لَفْظِهِ تَارَةً، وَمِنْ عُمُومِ الْمَعْنَى الَّذِي قَصَدَهُ تَارَةً، وَقَدْ يَكُونُ فَهمَهُ مِنْ الْمَعْنَى أَقْوَى، وَقَدْ يَكُونُ مِنْ اللَّفْظِ أَقْوَى، وَقَدْ يَتَقَارَبَانِ... وَالتَّحَاكُمُ فِي ذَلِكَ إلَى فِطَرِ النَّاسِ وَعُقُولِهِمْ(٢).

ويذكر ابن القيم الهدف من الخطاب وطرق الاستدلال لبلوغ هدف الخطاب أو مقصده، فإذا عرف مراد المتكلم بدليل من الأدلة وجب اتباع مراده. فيقول:" وَالْأَلْفَاظُ لَمْ تُقْصَدْ لِذَوَاتِهَا، وَإِنَّمَا هِيَ أَدِلَّةٌ يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى مُرَادِ الْمُتَكَلِّمِ، فَإِذَا ظَهَرَ مُرَادُهُ وَوَضَحَ بِأَيِّ طَرِيقٍ كَانَ عَمَلٌ بِمُقْتَضَاهُ، سَوَاءٌ كَانَ بِإِشَارَةٍ، أَوْ كِتَابَةٍ، أَوْ بِإِيمَاءَةٍ أَوْ دَلَالَةٍ عَقْلِيَّةٍ، أَوْ قَرِينَةٍ حَالِيَّةٍ، أَوْ عَادَةٍ لَهُ مُطَّرِدَةٍ لَا يُخِلُّ بِهَا... وَأَنْتَ تَجِدُ مَنْ لَهُ اعْتِنَاءٌ شَدِيدٌ بِمَذْهَبِ رَجُلٍ وَأَقْوَالِهِ كَيْفَ يَفْهَمُ مُرَادَهُ مِنْ تَصَرُّفِهِ وَمَذَاهِبِهِ؟(٣).

ويشير إلى أهمية القصد وأنه الأساس، وليس مجرد الألفاظ وظواهرها، وهو بهذا يشير إشارة ضمنية إلى أنه لفهم مقصدية المتكلم لا

(١) (نحلة): آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر(مرجع سابق ص ٨٥ ، ٨٩).
(٢) ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر: إعلام الموقعين عن رب العالمين: تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم(دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٤١١ه/ ١٩٩١م (١/ ١٦٦).
(٣) المرجع السابق نفسه (١٦٧/١)

بد من استحضار ملابسات الكلام وسياقاتها المختلفة :" الْعِبْرَةُ بِإِرَادَةِ الـتَّكَلُّمِ لَا بِلَفْظِهِ... وَهَذَا أَمْرٌ يَعُمُّ أَهْلَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، لَا يُمْكِنُ دَفْعُهُ؛ فَاللَّفْظُ الْخَـاصُّ قَدْ يَنْتَقِلُ إِلَى مَعْنَى الْعُمُومِ بِالْإِرَادَةِ، وَالْعَـامُّ قَـدْ يَنْتَقِـلُ إِلَـى الْخُصُـوصِ بِالْإِرَادَةِ... وَالْأَلْفَاظُ لَيْسَتْ تَعَبُّدِيَّةً، وَالْعَارِفُ يَقُولُ: مَاذَا أَرَادَ؟ وَاللَّفْظِيُّ يَقُولُ: مَاذَا قَالَ؟[١].

ويشير ابن القيم إلى الفرق بين الفهم والفقه: " وَالْفِقْـهُ أَخَـصُّ مِـنْ الْفَهْمِ، وَهُوَ فَهْمُ مُرَادِ الْمُتَكَلِّمِ مِنْ كَلَامِهِ، وَهَذَا قَدْرٌ زَائِدٌ عَلَـى مُجَـرَّدِ فَهْـمِ وَضْعِ اللَّفْظِ فِي اللُّغَةِ، وَبِحَسَبِ تَفَاوُتِ مَرَاتِبِ النَّاسِ فِي هَذَا تَتَفَاوَتُ مَرَاتِبُهُمْ فِي الْفِقْهِ وَالْعِلْمِ[٢].

ثم يشير إلى الأساليب التي يعرف بها مراد ومقصدية المتكلم فيقـول: وَالْعِلْمُ بِمُرَادِ الْمُتَكَلِّمِ يُعْرَفُ تَارَةً مِنْ عُمُومِ لَفْظِهِ، وَتَارَةً مِنْ عُمُـومِ عِلَّتِـهِ، وَالْحَوَالَةُ عَلَى الْأَوَّلِ أَوْضَحُ لِأَرْبَابِ الْأَلْفَاظِ، وَعَلَى الثَّـانِي أَوْضَـحُ لِأَرْبَـابِ الْمَعَانِي وَالْفَهْمِ وَالتَّدَبُّرِ، وَقَدْ يَعْرِضُ لِكُلٍّ مِنْ الْفَرِيقَيْنِ مَا يُخِلُّ بِمَعْرِفَةِ مُـرَادِ الْمُتَكَلِّمِ، فَيَعْرِضُ لِأَرْبَابِ الْأَلْفَاظِ التَّقْصِيرُ بِهَا عَنْ عُمُومِهَا، وَهَضْـمُهَا تَـارَةً وَتَحْمِيلُهَا فَوْقَ مَا أُرِيدَ بِهَا تَارَةً، وَيَعْرِضُ لِأَرْبَابِ الْمَعَانِي فِيهَـا نَظِيـرُ مَـا يَعْرِضُ لِأَرْبَابِ الْأَلْفَاظِ فَهَذِهِ أَرْبَعُ آفَاتٍ هِيَ مُنْشَأُ غَلَطِ الْفَرِيقَيْنِ[٣].

ويقسم الألفاظ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَقَاصِدِ الْمُتَكَلِّمِينَ إلى ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ: فيقول:" الْأَلْفَاظُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَقَاصِدِ الْمُتَكَلِّمِينَ وَنِيَّاتِهِمْ وَإِرَادَتِهِمْ لِمَعَانِيهَا ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ: أَحَدُهَا: أَنْ تُظْهِرَ مُطَابَقَةَ الْقَصْدِ لِلَّفْظِ، وَلِلظُّهُورِ مَرَاتِبُ تَنْتَهِي إِلَـى الْيَقِـينِ

(١) المرجع السابق نفس الصفحة.
(٢) المرجع السابق نفس الصفحة
(٣) المرجع السابق نفسه(١٦٨/١).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وَالْقَطْعِ بِمُرَادِ الْمُتَكَلِّمِ بِحَسْبِ الْكَلَامِ فِي نَفْسِهِ وَمَا يَقْتَرِنُ بِهِ مِنْ الْقَرَائِنِ الْحَالِيَّةِ وَاللَّفْظِيَّةِ وَحَالُ الْمُتَكَلَّمِ بِهِ وَغَيْرُ ذَلِكَ. الْقِسْمُ الثَّانِي: مَا يَظْهَرُ بِأَنَّ الْمُتَكَلِّمَ لَمْ يُرِدْ مَعْنَاهُ، وَقَدْ يَنْتَهِي هَذَا الظُّهُورُ إلَى حَدِّ الْيَقِينِ بِحَيْثُ لَا يَشُكُّ السَّامِعُ فِيهِ، وَهَذَا الْقِسْمُ نَوْعَانِ؛ أَحَدُهُمَا: أَنْ لَا يَكُونَ مُرِيدًا لِمُقْتَضَاهُ وَلَا لِغَيْرِهِ، وَالثَّانِي: أَنْ يَكُونَ مُرِيدًا لِمَعْنًى يُخَالِفُهُ؛ فَالْأَوَّلُ كَالْمُكْرَهِ وَالنَّائِمِ وَالْمَجْنُونِ وَمَنْ اشْتَدَّ بِهِ الْغَضَبُ وَالسَّكْرَانِ، وَالثَّانِي: كَالْمُعَرِّضِ وَالْمُورِّي وَالْمُلْغِزِ وَالْمُتَأَوِّلِ.الْقِسْمُ الثَّالِثُ: مَا هُوَ ظَاهِرٌ فِي مَعْنَاهُ وَيَحْتَمِلُ إرَادَةَ الْمُتَكَلِّمِ لَهُ وَيَحْتَمِلُ إرَادَتَهُ غَيْرَهُ، وَلَا دَلَالَةَ عَلَى وَاحِدٍ مِنْ الْأَمْرَيْنِ، وَاللَّفْظُ دَالٌّ عَلَى الْمَعْنَى الْمَوْضُوعِ لَهُ، وَقَدْ أَتَى بِهِ اخْتِيَارًا.(١)

والمقاصد عند الشاطبي ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ: ضَرُورِيَّةٌ، وَحَاجِيَّةٌ وَتَحْسِينِيَّةٌ، ويجعل الضرورية في خمسة مقاصد، يقول: وَمَجْمُوعُ الضَّرُورِيَّاتِ خَمْسَةٌ، وَهِيَ: حِفْظُ الدِّينِ، وَالنَّفْسِ، وَالنَّسْلِ، وَالْمَالِ، وَالْعَقْلِ(٢).

ويقرر علال الفاسي أن: المقصد العام للشريعة الإسلامية هو عمارة الأرض، وحفظ نظام التعايش فيها، واستمرار صلاحها بصلاح المستخلفين فيها، وقيامهم بما كلفوا به من عدل واستقامة، ومن صلاح في العقل وفي العمل، وإصلاح في الأرض، واستنباط لخيراتها، وتدبير لمنافع الجميع(٣).

(١) المرجع السابق نفسه (٣/ ٨٨).
(٢) الشاطبي: إبراهيم بن موسى، الموافقات، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان(دار ابن عفان: ط، الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م. ٢/ ١٧،٢٠).
(٣) المرجع السابق نفس الصفحة.

السياق وتوظيفه في فهم الخطاب القرآني:

السّياق إطارٌ عامّ تنتظم فيه عناصر النّصّ ووَحداتُه اللّغويّة، ومقياسٌ تتّصل بوَساطَتِه الجُمل فيما بينها وتترابط، وبيئةٌ لغوية وتداوليّة ترعى مجموع العناصر المعرفية التي يقدمها النّصّ للقارئ. ويضبط السّياقُ حَركاتِ الإحالة بين عَناصر النّصّ، فلا يُفهَم معنى كلمة أو جملة إلا بوصلِها بالتي قبلها أو بالتي بعدها داخل إطار السّياق. وكثيرا ما يَرد الشّبه بين الجمل والعبارات مع بعض الفوارق التي تميز بينها، ولا نستطيع تفسيرَ تلك الفوارق إلا بالرّجوع إلى السّياق اللّغويّ ولحظِ الفوارق الدّقيقة التي طرأت بين الجمل.

والسّياق الصّورة الكلّيّة التي تنتظم الصور الجزئيّةَ، ولا يُفهَم كلّ جزء إلا في موقعه من الكلّ، وقد أثبت العلم أنّ الصّورةَ الكلّيّة تتكوّن من مجموعة كبيرة من النّقاط الصغيرة أو المتشابهة أو المتباينة، التي تدخل كلها في تركيب الصورة(١).

ويضطلع السّياق بأدوار كثيرة في التفاعل الخطابي، مثل تحديد قصد المرسل ومرجع العلاقات... ويطلق مصطلح السياق على مفهومين: السياق اللغوي. وسياق التلفظ أو سياق الحال أو سياق الموقف.

ويعد "سياق الحال" أو "الماجرى" عند (فيرث) هو جملة العناصر المكونة للموقف الكلامي أو للحال الكلامية، ومن هذه العناصر المكونة للحال الكلامية:

---

(١) (بودرع)، عبد الرحمن، منهج السياق في فهم النص(كتاب الأمة، عدد:١١١، المحرّم ١٤٢٧هـ- فبراير٢٠٠٦م، السنة ٢٦: ص ٢٦).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

١- شخصية المتكلم والسامع، وتكوينهما الثقافي وشخصيات من يشهد الكلام غير المتكلم والسامع- إن وجدوا- وبيان ما لذلك من علاقة بالسلوك اللغوي.

٢- العوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللغة والسلوك اللغوي لمن يشارك في الموقف الكلامي كحالة الجو إن كان لها دخل، وكالوضع السياسي، وكمكان الكلام... إلخ. وكل ما يطرأ أثناء الكلام ممن يشهد الموقف من انفعال أو أي ضروب من ضروب الاستجابة، وكل ما يتعلق بالموقف الكلامي أيا كانت درجة تعلقه.

٣- أثر النص الكلامي في المشتركين، كالاقتناع، أو الألم، أو الإغراء أو الضحك... إلخ(١).

وهكذا فإن (فيرث) يرى أن الوصول إلى معنى أي نص لغوي يستلزم:

١- أن يحلل النص اللغوي على المستويات اللغوية المختلفة: الصوتية والفونولجية، والمورفولوجية، والنظمية، والمعجمية".

٢- أن يبين "سياق الحال" " الماجريات": شخصية المتكلم، شخصية السامع، جميع الظروف المحيطة بالكلام...

٣- أن يبين نوع الوظيفة الكلامية: تمن، إغراء ... إلخ.

٤- وأخيرا يذكر الأثر الذي يتركه الكلام، "ضحك، تصديق، سخرية ... إلخ"(٢).

---

(١) د. (السعران) محمود، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي (القاهرة ، دار الفكر العربي الطبعة: طبعة ٢ – ١٩٩٧م ص ٢٥٢).

(٢) المصدر السابق نفسه.

وغدا مصطلح السّياق من المصطلحات الشائعة والمؤثرة في الدرس اللغوي منذ أن ابتدعه (مالينوفسكي) ليتسع في الدراسات التّداوليّة. وقد استخدم العرب مصطلح المقام في الدراسات البلاغية، ولكن هناك فرق بين ما يقصده البلاغيون العرب بمصطلح المقام، وما يقصده التداوليون في البحث اللغوي الحديث بمصطلح السياق(١).

ويذكر د. عبد الفتاح البركاوي أن مالينوفسكي لم يكن يعلم وهو يصوغ مصطلحه الشهير أنه مسبوق إلى هذا المصطلح بألف سنة أو ما فوقها، لقد سجله القدماء في كتبهم تحت اصطلاح (المقام) ولكن كتبهم هذه لم تجد من الدعاية على المستوى العالمي ما وجده اصطلاح مالينوفيسكي(٢).

ومصطلح المقام استخدم عند العرب في الإشارة إلى الحال التي يصدر فيها القول... كما أن نظرتهم له كانت نظرة معيارية فأوجبوا أن يأتي الكلام على صفات مخصوصة ونماذج معلنة طبقا لمقامه ومقتضيات حاله(٣).

فهناك تشابه بين السياق الذي تحدث عنه فيرث، وبين المقام عند العرب، ولكن يتمثل الفرق بينهما في أن (فيرث) اعتبر السياق شرطا لصحة الكلام بينما اعتبره العرب شرطا لصحة البلاغة(٤).

---

(١) الشهري: استراتيجية الخطاب مقاربة لغوية تداوليّة (مرجع سابق، ص٤٠).
(٢) د. (البركاوي): د. عبد الفتاح ، دلالة السياق(القاهرة، دار المنار، ١٩٩١م ص٧٢)
(٣) د. (يونس): المعنى وظلال المعنى. أنظمة الدلالة في العربية(مرجع سابق، ص ١٦٠).
(٤) د. (بشر): كمال، التفكير اللغوي(القاهرة، دار الثقافة العربية، ١٩٩٣م، ص ١٣١، ١٣٢).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ومعرفة اللغة بأنظمتها المعروفة وحدها لن تغني المرسل اليه في معرفة قصد المرسل بمعزل عن السّياق؛ لأنّ مدار الأمر ينصبُّ على ماذا يعني المرسل من خطابه، لا ماذا تعنيه اللغة، حتى لو كان الخطاب واضحا في لغته؛ لأنّ معرفة قصد المرسل هو الفيصل في بيان معناه(١).

وقد شبه جون لاينز علاقات السياق بنسيج العنكبوت الواسع المتعدد الأبعاد، يمثل كل خيط فيه إحدى هذه العلاقات، وتمثل كل عقدة فيه وحدة معجمية مختلفة، وأنه يستحيل إعطاء معنى كلمة من دون وضعها في نص .أي أن السياق يعتمد على تجميع الكلمات بعضها مع بعضها الآخر، وترابط أجزائها وتتابعها، بحيث توحي إلى معنى وهي مجتمعة في النص(٢).

هذا وإنّ التّحليل بالسياق يُعدّ وسيلةً من بين وسائل تصنيف المدلولات، لذلك يتعيّن عرض اللّفظ القرآنيّ على موقعه لفهم معناه، ودفع المعاني غير المرادة(٣).

ويعد السياق شرطا أساسيا في فهم الخطاب القرآني، والوصول إلى مقصدية تراعي مقاصد الإسلام الكبرى ولا تتعارض معها، خاصة في الآيات المتعلقة بوحدة الأمة وآيات الحدود والجهاد، فلكي نصل إلى فهم صحيح لمقصدية الآيات لا بد من استدعاء السياق الذي تفهم من خلاله هذه النصوص، وكذلك تحديد المخاطب فيها؛ لأن أي انحراف في فهمها سيؤدي إلى مفاسد كبرى، والواقع المعاصر الذي تشهده الساحة الإسلامية من

(١) الشهري: استراتيجية الخطاب مقاربة لغوية تداوليّة(مرجع سابق ص ١٩٦).
(٢) لاينز: جون، اللغة والمعنى والسياق، ترجمة: عباس صادق الوهاب(بغداد، دار الشؤون الثقافية، ط ١، ١٩٨٧م، ص ٨٣).
(٣) د. (بودرع) عبد الرحمن، منهج السياق في فهم النص(مرجع سابق: ص ٢٦).

تحزب وتشتت وتشدد في الأفكار أدى إلى استخدام الآيات في غير سياقها، فالآيات والنصوص التي تدعو وتوجب وحدة المسلمين إذا فهمت في سياق تنظيمي ستكون سببا في الفرقة والتشتت فإن أخطر آفات الفهم.. هو في فهم النص في سياق خاص بعيدا عن السياق العام الذي يفهم من خلاله.

والسياق الذي نقصده هنا هو السياق الذي يفهم من خلاله النص؛ فهناك سياق جزئي (خاص) وهناك سياق كلي (عام)، فضلا عن القرائن التي سيقت النصوص من خلالها، ويتقوى هذا المعنى بنصوص قرآنية أو نبوية من خارج السياق النصي، فضلا عن استدعاء السياق المقاصدي الذي من خلاله يترجح الفهم باعتبار المفاسد والمصالح.

هذا ويعد العلمَ بخَلْفيّاتِ النّصوصِ وبالأسْبابِ التي تَكْمُنُ وَراءَ نُزولِها أو وُرودِها يورثُ العلمَ بالمُسبّباتِ، ويَنفي الاحتمالاتِ والظّنونَ غيرَ المُرادةِ، ويقطَعُ الطّريقَ عَلى المَقاصِدِ المُغرِضةِ التي لمْ يُردْها الشّارعُ الحكيمُ ولم يَرُمْها، ويُصحِّحُ ما اعوجَّ من أساليبِ التّطبيقِ؛ كاقْتِطاعِ النّصِّ من سِياقِه والاسْتدلالِ به مَعْزولًا عن مُحيطِه الذي نزلَ فيه، هذِه الأساليب التي أخرجتِ النّصوصَ عن مَقاصِدِها العُليا ودَفعَت بِها إلى وُجوهٍ من المَعاني والاسْتِنباطاتِ البعيدةِ، ظاهرُها حقٌّ، وباطنُها باطلٌ وجَورٌ[1].

ويحصر العز بن عبد السلام مقاصد القرآن في مراعاة المفاسد والمصالح التي يمكن أن تنشأ من فهم الخطاب القرآني:" وَمُعْظَمُ مَقَاصِدِ الْقُرْآنِ الْأَمْرُ بِاكْتِسَابِ الْمَصَالِحِ وَأَسْبَابِهَا، وَالزَّجْرُ عَنْ اكْتِسَابِ الْمَفَاسِدِ

(١) د. (بودرع) عبد الرحمن، منهج السياق في فهم النص(مرجع سابق: ص ٢٦).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وَأَسْبَابِهَا[١]، وَلَوْ تَتَبَّعْنَا مَقَاصِدَ مَا فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَلِعِلْمِنَا أَنَّ اللَّـهَ أَمَـرَ بِكُلِّ خَيْرٍ دَقَّهُ وَجَلَّهُ، وَزَجَرَ عَنْ كُلِّ شَرٍّ دَقَّهُ وَجَلَّهُ، فَإِنَّ الْخَيْرَ يُعَبَّرُ بِهِ عَـنْ جَلْبِ الْمَصَالِحِ وَدَرْءِ الْمَفَاسِدِ، وَالشَّرَّ يُعَبَّرُ بِهِ عَـنْ جَلْـبِ الْمَفَاسِـدِ وَدَرْءِ الْمَصَالِحِ[٢].

وللسّياق القرآني أنواع كثيرة؛ منها:

– السّياق المَكاني: ويعني مراعاة سياق الآية في موقعها من السّورة، وسياق الجملة في موقعها من الآية، فيجب أن تُربَط الآية بالسّـياق الـذي وردت فيه، ولا تُقطَع عمّا قبلها وما بعدها.

– السّياق الزّمنيّ للآيات، أو سياق التّنزيل، ويعني سياق الآيـة بـين الآيات بحسب ترتيب النّزول.

– السّياق المَوضوعيّ: ومعناه دراسة الآية أو الآيات التـي يجمعهـا موضوع واحد... وتتبّع مواقعها في القرآن الكريم كلّه.

– السّياق المَقاصديّ: ومعناه النّظر إلى الآيات القرآنيّـة مـن خـلال مقاصد القرآن الكريم والرؤية القرآنية العامّة للموضوع المُعالَج.

– السّياق التّاريخيّ: بمعنييه العامّ والخاصّ؛ فالعامّ هو سياق الأحداث التّاريخيّة القديمة التي حكاها القرآن الكريم والمُعاصـرة لـزمن التّنزيـل، والخاصّ هو أسباب النّزول.

---

(١) العز بن عبد السلام: أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام ، قواعد الأحكام فـي مصالح الأنام راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد(مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٤١٤ هـ- ١٩٩١م، ١/ ٨).

(٢) المرجع السابق نفسه(٢/ ١٨٩).

– السّياق اللّغويّ: وهو دِراسةُ النصّ القرآنيّ من خلال علاقاتِ ألفاظِه بعضها ببعض والأدواتِ المستعملة للرّبط بين هذه الألفاظ، وما يترتّب على تلك العلائق من دلالات جزئية وكلّية.

وينبغي تحكيم كلّ هذه الأنواع من السّياق عند إرادة دراسة النّصّ القرآني بمنهج سياقيّ متكامل حتى لا يجعل النّصّ بنيةً لغويّةً مغلقةً تقتصر على ما تفيده الألفاظ من معانٍ ودلالات(١).

ولنحاول أن نفهم مقصدية بعض النصوص القرآنية من خلال مبحث مهم من مباحث التداولية وهو مبحث الإشارة، ويكاد يتفق الباحثون على أن البحث التداولي يقوم على دراسة أربعة جوانب هي: الإشارة، والافتراض السابق، والاستلزام الحواري والأفعال الكلامية(٢).

والإشارة: في كل اللغات كلمات وتعبيرات تعتمد اعتمادا تاما على السياق الذي تستخدم فيه، ولا يستطاع إنتاجها أو تفسيرها بمعزل عنه... وأغلب الباحثين على أن الإشاريات خمسة أنواع: إشاريات شخصية، وإشاريات زمانية، وإشاريات مكانية، وإشاريات اجتماعية، وإشاريات خطابية... ومن الإشاريات الشخصية: الضمائر الشخصية الدالة على المتكلم وحده مثل أنا، أو المتكلم ومعه غيره مثل نحن، والضمائر الدالة على المخاطب مفردا أو مثنى أو جمعا، مذكرا أو مؤنثا، وضمائر الحاضر هي دائما عناصر إشارية؛ لأن مرجعها يعتمد اعتمادا تاما على السياق الذي تستخدم فيه. وليس من شك في أن الضمير أنا وأنت ونحوهما له دلالة في

(١) (بودرع)، منهج السياق في فهم النص(مرجع سابق ص ٢٦).
(٢) (نحلة) آفاق جديدة في الدرس اللغوي(مرجع سابق ص ١٥).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ذاته على المتكلم أو المخاطب، لكن السياق لازم لمعرفة من المتكلم أو المخاطب الذي يحيل إليه الضمير أنا وأنت(١).

ولنأخذ مثالا على ذلك؛ وهو ضمير المخاطب (واو الجماعة) حيث ورد في صيغة الأمر في أكثر من آية (وَأَقِيمُوا- وَآتُوا-وأَتِمُّوا- وأَعِدُّوا- فَاقْطَعُوا)، لكن المخاطب يختلف في كل آية عن الأخرى؛ فالمخاطب في قوله تعالى:"وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ" [البقرة:٤٣] يختلف عن المخاطب في"وَآتُوا الزَّكَاةَ"[البقرة:٤٣]، يختلف عن المخاطب في"وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ" [البقرة:١٩٦]، وبطبيعة الحال يختلف عن المخاطب في: "وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ" [الأنفال:٦٠] أو قوله تعالى: "وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا"[المائدة: ٣٨]، فهناك مشترك إشاري واحد في الآيات السابقة وهو "واو الجماعة" لكن المخاطب مختلف؛ والسياق في كل آية لازم لمعرفة وتحديد ماهية المخاطب؛ فالمخاطب في "وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ "[البقرة:٤٣] هم أفراد المسلمين؛ فالصلاة فرض على كل مسلم ومسلمة دون استثناء، غير ما استثني من حالات خاصة بالمرأة، وفصَّلت كتب الفقه هذه الأحكام المتعلقة بالصلاة، بينما المخاطب في:" وَآتُوا الزَّكَاةَ "[البقرة:٤٣] ليس كل مسلم، ولكنه المسلم الذي يملك نصاب الزكاة والمحدد في الأحاديث النبوية، والمقرر في الشريعة، والذي حدد المخاطب هنا هو السياق الخارجي المتمثل في نصوص السنة النبوية التي حددت فرضية الزكاة على الذي يملك النصاب، وهو مقدار معين من الزروع أو من الذهب وما يعادله.. أو غير ذلك من أنصبة الزكاة المقررة في كتب الفقه الإسلامي. والمخاطب في فرضية الحج هو المستطيع ماديًّا وصحيًّا، والذي حدد ذلك سياق خارجي

(١) (نحلة) آفاق جديدة في الدرس اللغوي(مرجع سابق ص ١٦، ١٧).

يتمثل في قوله تعالى:" وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا "[آل عمران: ٩٧] وغير ذلك من نصوص السنة النبوية.

أما المخاطب في قوله تعالى: "وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ"[الأنفال:٦٠]" أو قوله تعالى: "وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا"[المائدة: ٣٨]، فهو مخاطب خاص، وليس آحاد المسلمين، ولكن المخاطب هنا هو من بيده سلطة الحكم، والذي حدد المخاطب هنا هو السياق العام، أو السياق المقاصدي المتمثل في حفظ النفس والمال ونظام الدولة ووحدة المسلمين؛ لأنه لو فهم في غير هذا السياق العام، لتحول المسلمون إلى كتل منعزلة يضرب بعضها رقاب بعض.

ومثل ذلك آيات الجهاد وآيات الحدود بشكل عام، وغيرها من الآيات التي يتوجه الخطاب فيها إلى سلطة حاكمة، قادرة، بيدها الأمر؛ لا تفهم هذه الآيات إلا في هذا السياق، وإلا لو تم فهمها في سياق جزئي محدود؛ ففهمتها كل مجموعة اجتماعية، أو جماعة سياسية في سياقها الخاص، أو بحسب رؤاها الخاصة، بعيدا عن مفهوم الأمة الواسع الذي يشمل المسلمين جميعا على اختلاف انتماءاتهم في نطاق واحد؛ لتحولت الأمة إلى مجموعات متناحرة تفهم الآيات في سياقها الخاص، وتأخذها ذريعة شرعية لتجاهد بها غيرها من تنظيمات وأنظمة، أو مجموعات تختلف معها في أمر ما. هنا تتحول الأمة إلى كتل متناحرة يضرب بعضها رقاب بعض، فيتعارض هذا الفهم الخاص مع المقصدية العامة للدين.

ولنتخيل مثلا: لو أن كل تيار فهم هذه الآية على أنها خطاب له وحده في مواجهة من يختلف معه "وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ"[الأنفال:٦٠] بعيدا عن كونها خطابا عاما للأمة كلها في مواجهة من يعاديها، وفي نفس

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الوقت خطاب لسلطة قائمة بيدها الأمر.. أو فهم قوله تعالى:" وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ..." [البقرة:١٩١] في غير سياقه، وترك لآحاد الناس ليفهموه ويوجهوه بحسب رؤاهم القاصرة !! إن الفهم التداولي ضرورة للخروج بمعنى ومقصدية تتوافق مع السياق العام والمقاصد الكبرى التي جاء بها الإسلام وفصلتها نصوص الشريعة، وتتحقق من ورائها المصالح الكبرى للأمة.

الخطاب القرآني بين القراءة اللغوية القاصرة والقراءة التداولية:

من خلال ما ذكرنا كان الاكتفاء بالتحليل اللغوي المحض المقتصر على المعنى المعجمي والوظيفي على مستوى الأصوات والتصريف والنحو قد يؤدي إلى قصر في فهم الخطاب فهما كاملا إن لم يكن قاصرا(١).

وهذا ما أشار إليه الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) في غير موضع؛ إذ يروي في كتابه الحيوان أن هناك طائفة ممن حفظوا الكلمات العربية حفظا، وتعلموا النحو والصرف تعلما، حاولوا قراءة آيات القرآن الكريم واستنباط دلالتها من معارفهم النحوية واللغوية، دون معرفة بسياق النص ومقصديته؛ فوقعوا في أخطاء فاحشة(٢).

من ذلك قوله:" وسأل سائلون في تحريم الخنزير عن مسألة؛ فمنهم من أراد الطّعن، ومنهم من أراد الاستفهام، ومنهم من أحبّ أن يعرف ذلك من جهة الفتيا؛ إذ كان قوله خلاف قولنا. قالوا: إنّما قال الله:" حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ

(١) د. (يونس) محمد محمد، المعنى وظلال المعنى. أنظمة الدلالة في العربية(مرجع سابق، ص ١٦٢).

(٢) ينظر: د. (الكردي) عبد الرحيم، قراءة النص (القاهرة، مكتبة الآداب، ٢٠٠٦م، ص ٢٩).

الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ [المائدة: ٣]، فذكر اللّحم دون الشّحم، ودون الرّأس، ودون المخّ، ودون العصب، ودون سائر أجزائه؛ ولم يذكره كما ذكر الميتة بأسرها، وكذلك الدّم؛ لأنّ القول وقع على جملتهما، فاشتمل على جميع خصالهما بلفظ واحد، وهو العموم. وليس ذلك في الخنزير؛ لأنّه ذكر اللّحم من بين جميع أجزائه(١).

فالجاحظ هنا يورد مثالا لمن يفهم النص فهما لغويا محدودا من أن القرآن حرم الميتة كلها وحرم الدم كله؛ أما الخنزير فلم يحرم سوى لحمه فقط ولم يحرم شحمه ولا رأسه ولا غير ذلك.

ثم يرد الجاحظ على هؤلاء وينبههم إلى أن هناك مستوى أعمق في اللغة من هذا المستوى اللغوي الظاهري، يحمل دلالات أعمق من هذه الدلالات التي لا تراعي العرف والاستعمال اللغوي والمقاصد العامة، فيقول: إنّ للنّاس عادات، وكلاما يعرّف كل شيء بموضعه، وإنما ذلك على قدر استعمالهم له، وانتفاعهم به. وقد يقول الرجل لوكيله: اشتر لي بهذا الدّينار لحما، أو بهذه الدراهم، فيأتيه باللّحم فيه الشّحم، والعظم، والعرق، والعصب، والغضروف، والفؤاد والطّحال، والرّئة، وببعض أسقاط الشاة وحشو البطن. والرأس لحم، والسّمك أيضا لحم... ولو أنّ رجلا قال: أكلت لحما- وإنما أكل رأسا أو كبدا أو سمكا- لم يكن كاذبا. وللنّاس أن يضعوا كلامهم حيث أحبّوا، إذا كان لهم مجاز؛ إلّا في المعاملات... والعرب تقول للرّجل الصانع نجّارا، إن كان لا يعمل بالمثقب والمنشار ونحوه ولا يضرب بالمضلع ونحو ذلك، وتسميّه خبّازا إذا كان يطبخ ويعجن. وتسمّي العير لطيمة، وإن لم يكن

(١) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، الحيوان (دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤ هـ، ٤/ ٢٩٧).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فيها ما يحمل العطر إلّا واحدا. وتقول: هذه ظعن فلان؛ للهوادج إذا كانت فيها امرأة واحدة. ويقال: هولاء بنو فلان؛ وإن كانت نساؤهم أكثر من الرجال.

فلما كان اللحم هو العمود الذي إليه يقصد، وصار في أعظم الأجزاء قدرا، دخل سائر تلك الأجزاء في اسمه. فلما قال: حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ ولَحْمُ الْخِنْزِيرِ [المائدة: ٣] وكانت هذه الأشياء المشبّهة باللّحم تدخل في باب العموم في اسم اللحم، كان القول واقعا على الجميع(١).

فالجاحظ من خلال هذا النص يشير إلى ضرورة فهم النص من خلال السياق والعرف اللغوي في استعمال اللغة للوقوف على مقصدية النص وفهمه من خلال سياقه الاستعمالي.

وهذا الفهم الشكلي والمحدود للخطاب هو الذي أدى إلى تبرير المذاهب الضالة لعقائدها، ومن ذلك هذا الفهم الذي ينسب إلى بيان بن سمعان التميمي صاحب فرقة البيانية من غلاة الشيعة لقوله تعالى:" كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ"[القصص: ٨٨] يقولون أن الله عز وجل على صورة الإنسان وأنه يهلك كله إلا وجهه(٢).

وكذلك أصحاب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ذي الجناحين، حيث كانوا يستحلون الميتة والخمر وغيرهما من المحارم، ويتأولون قول

(١) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، الحيوان (مرجع سابق٤/ ٢٩٨).
(٢) الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، عنى بتصحيحه: هلموت ريتر، (ألمانيا) دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م، ص ٥)

الله عز وجل:" لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ"[المائدة ٩٣] (١).

فالقواعد النحوية والصرفية والمعاني المعجمية قد تعطي هذا الاحتمال، ولكنها ليست بأي حال هي الدلالة الصحيحة والمعنى المقصود؛ لأنه يتعارض صراحة مع مقاصد القرآن الكبرى، من هنا أخذ العلماء أمثال الجاحظ وغيره من اللغويين وغيرهم يبحثون عن قواعد أخرى في اللغة أيضا تحكم هذه الظاهرة، ظاهرة تحديد المعنى المراد من بين المعاني الكثيرة المحتملة في التركيب اللغوية، ومن هؤلاء العلماء الذين عنوا بها أبو عبيدة(ت ٢٠٩هـ) ومقاتل بن سليمان(ت:١٥٠هـ) إضافة إلى الجاحظ(ت ٢٥٥هـ) ؛ فأطلق عليها أبوعبيدة المجاز، وأطلق عليها مقاتل بن سليمان مصطلح الأشباه والنظائر، وأطلق عليها الجاحظ مصطلح البيان العربي حينا، والمجاز حينا آخر، ومجرى كلام العرب حينا ثالثا، وهي كلها تشير إلى ملامح متقاربة لفهم النص في إطار المقاصد الكبرى(٢).

ونختم هنا بنص مُنَاظَرَةِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه الْحَرُورِيَّةَ، (الخوارج) وَاحْتِجَاجِهِ فِيمَا أَنْكَرُوهُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ(٣)؛ لأنها- في رأينا المتواضع- خير مثال لما رآه البحث من أهمية السياق والمقصدية في فهم دلالة النصوص، وقد وضح ذلك جليًّا في

(١) المرجع السابق نفسه، ص ٦)

(٢) ينظر: الكردي: عبد الرحيم، قراءة النص (مرجع سابق ص ٣٢).

(٣) ينظر نص المناظرة في: السنن الكبرى، النسائي (٧/ ٤٨٠)، برقم (٨٥٢٢) حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

حجاج ابن عباس رضي الله عنه لهم، وقد كان ذلك منهم أول محاولة للخروج بمقصدية الخطاب القرآني عن سياقه وفهمه، وتأويله في سياقات خاصة تتعارض مع مقاصد الإسلام الكبرى، وتخرج عن إطار الأمة الجامع؛ وتعمل على تمزيق وحدة المسلمين، فضلا عن كونها تذهب بالنصوص مذهبا مغايرا لمقصود النص؛ وبالرغم من أن هذه القراءة أو هذا الفهم لا يتعارض مع القواعد النحوية والمعاني المعجمية، لكنه ليس المقصود.

فلما ذهب عبد الله بن عباس إليهم ليناظرهم؛ قال لهم: أَتَيْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ الْمُهَاجِرِينَ، وَالْأَنْصَارِ، وَمِنْ عِنْدِ ابْنِ عَمِّ النَّبِيِّ ﷺ وَصِهْرِهِ، وَعَلَيْهِمْ نُزِّلَ الْقُرْآنُ، فَهُمْ أَعْلَمُ بِتَأْوِيلِهِ مِنْكُمْ، وَلَيْسَ فِيكُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ، لَأُبَلِّغَكُمْ مَا يَقُولُونَ، وَأُبَلِّغَهُمْ مَا تَقُولُونَ.

ثم قال لهم: هَاتُوا مَا نَقِمْتُمْ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَابْنِ عَمِّهِ، قَالُوا: «ثَلَاثٌ» قُلْتُ: مَا هُنَّ؟ قَالَ: «أَمَّا إِحْدَاهُنَّ، فَإِنَّهُ حُكْمُ الرِّجَالِ فِي أَمْرِ اللهِ» وَقَالَ اللهُ: " إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ" [الأنعام: ٥٧] مَا شَأْنُ الرِّجَالِ وَالْحُكْمِ؟ قُلْتُ: هَذِهِ وَاحِدَةٌ قالوا: وَأَمَّا الثَّانِيَةُ، فَإِنَّهُ قَاتَلَ، وَلَمْ يَسْبِ، وَلَمْ يَغْنَمْ، إِنْ كَانُوا كُفَّارًا لَقَدْ حَلَّ سِبَاهُمْ، وَلَئِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ مَا حَلَّ سِبَاهُمْ وَلَا قِتَالُهُمْ قُلْتُ: هَذِهِ ثِنْتَانِ، فَمَا الثَّالِثَةُ؟ " وَذَكَرَ كَلِمَةً مَعْنَاهَا قَالُوا: مَحَى نَفْسَهُ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَهُوَ أَمِيرُ الْكَافِرِينَ "

ثم قال لهم: هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ غَيْرُ هَذَا؟ قَالُوا: «حَسْبُنَا هَذَا» ثم قال لَهُمْ: أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ قَرَأْتُ عَلَيْكُمْ مِنْ كِتَابِ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ مَا يَرُدُّ قَوْلَكُمْ أَتَرْجِعُونَ؟ قَالُوا: «نَعَمْ» قال: أَمَّا قَوْلُكُمْ: «حُكْمُ الرِّجَالِ فِي أَمْرِ اللهِ، فَإِنِّي أَقْرَأُ عَلَيْكُمْ فِي كِتَابِ اللهِ أَنْ قَدْ صَيَّرَ اللهُ حُكْمَهُ إِلَى الرِّجَالِ فِي ثَمَنِ رُبْعِ دِرْهَمٍ، فَأَمَرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَحْكُمُوا فِيهِ» أَرَأَيْتَ قَوْلَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: " يَا

أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ، وَأَنْتُمْ حُرُمٌ، وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ" [المائدة: ٩٥] وَكَانَ مِنْ حُكْمِ اللهِ أَنَّهُ صَيَّرَهُ إِلَى الرِّجَالِ يَحْكُمُونَ فِيهِ، وَلَوْ شَاءَ لحكم فِيهِ، فَجَازَ مِنْ حُكْمِ الرِّجَالِ، أَنْشُدُكُمْ بِاللهِ أَحُكْمُ الرِّجَالِ فِي صَلَاحِ ذَاتِ الْبَيِّنِ، وَحَقْنِ دِمَائِهِمْ أَفْضَلُ أَوْ فِي أَرْنَبٍ؟ قَالُوا: بَلَى، هَذَا أَفْضَلُ وَفِي الْمَرْأَةِ وَزَوْجِهَا: {وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا} [النساء: ٣٥] فَنَشَدْتُكُمْ بِاللهِ حُكْمَ الرِّجَالِ فِي صَلَاحِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ، وَحَقْنِ دِمَائِهِمْ أَفْضَلُ مِنْ حُكْمِهِمْ فِي بُضْعِ امْرَأَةٍ؟ خَرَجْتُ مِنْ هَذِهِ؟ " قَالُوا: نَعَمْ.

ثم قال لهم: وَأَمَّا قَوْلُكُمْ قَاتَلَ وَلَمْ يَسْبِ، وَلَمْ يَغْنَمْ، أَفَتَسْبُونَ أُمَّكُمْ عَائِشَةَ، تَسْتَحِلُّونَ مِنْهَا مَا تَسْتَحِلُّونَ مِنْ غَيْرِهَا وَهِيَ أُمُّكُمْ؟ فَإِنْ قُلْتُمْ: إِنَّا نَسْتَحِلُّ مِنْهَا مَا نَسْتَحِلُّ مِنْ غَيْرِهَا فَقَدْ كَفَرْتُمْ، وَإِنْ قُلْتُمْ: لَيْسَتْ بِأُمِّنَا فَقَدْ كَفَرْتُمْ: "النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ"[الأحزاب: ٦] فَأَنْتُمْ بَيْنَ ضَلَالَتَيْنِ، فَأْتُوا مِنْهَا بِمَخْرَجٍ، أَفَخَرَجْتُ مِنْ هَذِهِ؟ قَالُوا: نَعَمْ.

ثم قال لهم: وَأَمَّا مَحْيُ نَفْسِهِ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَأَنَا آتِيكُمْ بِمَا تَرْضَوْنَ. إن نَبِيَّ اللهِ ﷺ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ صَالَحَ الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ لِعَلِيٍّ: «اكْتُبْ يَا عَلِيُّ هَذَا مَا صَالَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولَ اللهِ» قَالُوا: لَوْ نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ مَا قَاتَلْنَاكَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «امْحُ يَا عَلِيُّ اللهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ، امْحُ يَا عَلِيُّ، وَاكْتُبْ هَذَا مَا صَالَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ» وَاللهِ لَرَسُولُ اللهِ ﷺ خَيْرٌ مِنْ عَلِيٍّ، وَقَدْ مَحَى نَفْسَهُ، وَلَمْ يَكُنْ مَحْوُهُ نَفْسَهُ ذَلِكَ مَحَاهُ مِنَ النُّبُوَّةِ، أَخَرَجْتُ مِنْ هَذِهِ؟ قَالُوا: «نَعَمْ، فَرَجَعَ مِنْهُمْ أَلْفَانِ، وَخَرَجَ سَائِرُهُمْ، فَقُتِلُوا عَلَى ضَلَالَتِهِمْ، فَقَتَلَهُمُ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ»(١).

(١) المرجع السابق نفسه.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

هذه المناظرة تثبت مهارة ابن عباس رضي الله عنه اللغوية، وفهمه لمسارات اللغة وطرق فهمها من خلال سياقاتها اللغوية وغير اللغوية، ومراعاة الملابسات المختلفة التي تحيط بالنص، إلى جانب مراعاة العرف الاستعمالي للغة، ومقصدية النص القرآني، وقد ذكرهم في بداية مناظرته أن أصحاب رسول الله ﷺ هم أعلم بفهم النص وتأويله على وجهه الصحيح منهم؛ لأنهم بحكم تنشئتهم العربية أعلم بمسارات اللغة وطرق فهم دلالات نصوصها، كما تبين قدرته الحجاجية ومعرفته بأساليب الحجاج والإقناع والتأثير، وهي أمور لا تقتصر على الفهم السطحي للنصوص الذي لا يراعي مضمون العبارات ولا مآلات المعاني.

خاتمة

من خلال معايشتنا لهذا البحث يمكن الخروج بعدد من الملاحظات والنتائج منها:

أولا: اللغة ليست هي الألفاظ والجمل مجردة عن سياقها الزماني والمكاني والثقافي فحسب، ولا يمكن فهمها بعيدا عن قصد الملقي ولا ثقافة المتلقي، من هنا نستطيع القول بأن مفهوم التداولية يتلخص في هذه الآية: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ"[إبراهيم: ٤]. فالتبيين يقتضى معرفة ومعايشة تامة لثقافة المجتمع؛ لأن الدلالات وإيحاءاتها إنما تكتسب من ثقافة المجتمع. ولفهم قصدية المتكلم لا بد من استحضار السياقات الزمانية والمكانية والثقافية وغيرها.. كما أن الآية تشير إلى نفعية اللغة ووظيفيتها، فضلا عن أن مصطلح لسان في عرف الدرس اللغوي المعاصر أشمل وأعم من مصطلح لغة.

ثانيا: الخطاب القرآني خطاب إلهي معجز" لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ" [فصلت: ٤٢] هذه سمة تجعله متفردا عن الخطابات البشرية، فهو خطاب متكامل، يمتلك من الأدوات والآليات التي تجعله رسالة ربانية عالمية تتجاوز الزمان والمكان، تخاطب الناس جميعا على اختلاف مداركهم ومشاربهم، لا تقف عند حدود جغرافية أو عرقية، من هنا كان حاملا لوسائل وأساليب متعددة ومتنوعة، بحسب تعدد وتنوع البشر في أفكارهم ومعتقداتهم.

ثالثا: التداولية بآلياتها تستطيع ضبط عملية التأويل والتفسير للخطاب القرآني، ولا تفتح المجال لأي أحد إلا أن يكون منطلقا من روح الوحي

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ومتشربا لمعانيه وعالما بسياقاته الداخلية والخارجية، وبهذا تعد التداولية بآلياتها وضوابطها نظرية آمنة إلى حد كبير لتناول الخطاب القرآني من خلالها.

رابعا: أشار البحث إلى نوع آخر من أشكال التلقي والتعامل مع الخطاب القرآني، وهو نوع من التلقي يرجع إلى خلفيات فكرية وسياسية وثقافية. يؤدي إلى تنوع وتعدد التفسيرات للخطاب القرآني، والتي يكتسبها صاحبها ويتشربها وتتشكل من خلالها رؤى فكرية معينة، وبعضها قد يكون مقتربا أو مبتعدا من مقصدية النص بدرجات متفاوتة، وينبني على هذه التفسيرات رؤى فكرية تتسرب إلى العقل الجمعي بنسب متفاوتة في بعض الأحيان. والنص القرآني أكبر من أن يختزل في سياق خاص يضيق بضيق أفق مؤوله، فضلا عن إخراجه من كونه كتاب هداية للبشرية كلها، إلى أداة للتشاحن المضاد، وانتصار كل طرف لما يراه هواه..

خامسا: المقصدية تراعي ملابسات كثيرة تتعانق مع النص، وتتشارك في إنتاج دلالات متعددة من ورائه، كما أنها ترجع إلى حالة المتلقي، وما يكتنفه من تصورات، وما يؤمن به من رؤى وأفكار. فالنص قد تؤخذ منه دلالات متعددة، لكن هذه الدلالات تختلف في النص البشري عنها في النص المقدس قرآنا وسنة صحيحة؛ إذ المقصدية هنا ستكون محكومة بضوابط وقواعد تحيل هذه الدلالات إلى معان تتوافق مع المقاصد الكبرى للدين وللشريعة.

سادسا: لابن قيم الجوزية إشارات مهمة في المقصدية وأبعادها من ذلك: توضيحه لماهية القصد، والهدف من الخطاب وطرق الاستدلال لبلوغ هدف الخطاب أو مقصده، فإذا عرف مراد المتكلم بدليل من الأدلة وجب اتباع

مراده. وإشارته إلى أهمية القصد وأنه الأساس، وليس مجرد الألفاظ وظواهرها، كما أشار إلى أنه لفهم مقصدية المتكلم لا بد من استحضار ملابسات الكلام وسياقاتها المختلفة، كما أشار إلى الأساليب التي يمكن من خلالها معرفة مراد ومقصدية المتكلم.

سابعا: يعد السياق شرطا أساسيا في فهم الخطاب القرآني، والوصول إلى مقصدية تراعي مقاصد الإسلام الكبرى ولا تتعارض معها، خاصة في الآيات المتعلقة بوحدة الأمة وآيات الحدود والجهاد، فلكي نصل إلى فهم صحيح لمقصدية الآيات لا بد من استدعاء السياق الذي تفهم من خلاله هذه النصوص، وكذلك تحديد المخاطب فيها؛ لأن أي انحراف في فهمها سيؤدي إلى مفاسد كبرى، والواقع المعاصر الذي تشهده الساحة الإسلامية من تحزب وتشتت في الأفكار أدى إلى استخدام الآيات في غير سياقها، فالآيات والنصوص التي تدعو وتوجب وحدة المسلمين إذا فهمت في سياق تنظيمي ستكون سببا في الفرقة والتشتت فإن أخطر آفات الفهم.. هو في فهم النص في سياق خاص بعيدا عن السياق العام الذي يفهم من خلاله.

ثامنا: تنبه اللغويون الأوائل إلى ضرورة تجاوز الفهم اللغوي السطحي إلى معاني أعمق، وفهم النص من خلال السياق والعرف اللغوي في استعمال اللغة للوقوف على مقصدية النص وفهمه من خلال سياقه الاستعمالي. لأن الفهم الشكلي للخطاب هو الذي أدى إلى تبرير المذاهب الضالة لعقائدها.

تاسعا: تعد مُنَاظَرَةِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه الْحَرُورِيَّةَ، (الخوارج) وَاحْتِجَاجِهِ فِيمَا أَنْكَرُوهُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ خير مثال لما أراد البحث إثباته من أهمية السياق

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

والمقصدية في فهم دلالة النصوص، وقد كان ذلك منهم أول محاولة للخروج بمقصدية الخطاب القرآني عن سياقه وفهمه، وتأويله في سياقات خاصة تتعارض مع مقاصد الإسلام الكبرى؛ فضلا عن كونها تذهب بالنصوص مذهبا مغايرا لمقصود النص؛ كما أن هذه المناظرة تثبت مهارة ابن عباس رضي الله عنه اللغوية، وفهمه لمسارات اللغة وطرق فهمها من خلال سياقاتها اللغوية وغير اللغوية.

من توصيات البحث:

يوصي البحث بتبسيط وتفعيل الدراسات اللغوية في القطاعات المختلفة، وتقريبها إلى القارئ غير المتخصص حتى تعم فائدتها في قطاعات الثقافة المختلفة؛ خاصة وأن المتعرضين للشأن الإسلامي والمهتمين به يغلب عليهم عدم الاهتمام بالدراسات اللغوية أو توظيفها في فهم النص الشرعي أو الخطاب الإسلامي بشكل عام؛ خاصة وأن كمًّا هائلا من الدراسات اللغوية المعاصرة والأصيلة التي ترتبط بالنص الشرعي وطرق فهمه والتعامل معه، تمتلئ به الأدراج الأكاديمية، ولا يتم تداوله أو تناوله إلا من النخبة المتخصصة فقط.. وأغلب المتعرضين للشأن الإسلامي من دعاة وغيرهم، لا يطلعون على مثل هذه النوعية من الدراسات... ربما لظنهم أنها من نافلة القول. أو إحساسهم بصعوبة تناولها.

قائمة المراجع

١)(الإبراهيمي) خولة طالب: مبادئ في اللسانيات(الجزائر، دار القصبة للنشر، ٢٠٠٠م).

٢)ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون(بيروت، دار القلم. ط: الخامسة، ١٩٨٤م).

٣)ابن عادل الدمشقي الحنبلي، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض(دار الكتب العلمية- بيروت/ لبنان- ط: الأولى ١٤١٩هـ -١٩٩٨م).

٤)ابن عاشور: محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير(الدار التونسية للنشر- تونس: ١٩٨٤هـ).

٥)ابن فارس: أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون(دار الفكر: ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٦)ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر: إعلام الموقعين عن رب العالمين: تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم(دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٤١١ه/ ١٩٩١م).

٧)ابن منظور: محمد بن مكرم بن على، لسان العرب(دار صادر- بيروت، ط: الثالثة- ١٤١٤ هـ).

٨)د. (أبو حسين): محمد محمود السيد، الدرس التداولي في ضوء علم اللغة الحديث(القاهرة، مكتبة دار الفكر العربي، الطبعة الأولى ٢٠١٠م).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

٩)الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، عنى بتصحيحه: هلموت ريتر، (ألمانيا) دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م).

١٠) الباردي: محمد، إنشائية الخطاب في الرواية العربية الحديثة(دمشق، من منشورات اتحاد الكتّاب العرب،٢٠٠٠م).

١١) د. (بحري) سعيد حسن: علم لغة النص. المفاهيم والاتجاهات(القاهرة، مؤسسة المختار، ط الثانية:١٤٣١ه- ٢٠١٠م).

١٢) د. (البركاوي) عبد الفتاح، دلالة السياق(القاهرة، دار المنار، ١٩٩١م).

١٣) د. (بشر) كمال، التفكير اللغوي(القاهرة، دار الثقافة العربية، ١٩٩٣م).

١٤) د. (بلبع) عيد، التداولية البعد الثالث سميوطيقا موريس(مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد ٦٦، ربيع ٢٠٠٥م).

١٥) د. (بودرع) عبد الرحمن، منهج السياق في فهم النص(كتاب الأمة، عدد:١١١، المحرّم ١٤٢٧هـ- فبراير٢٠٠٦م، السنة ٢٦).

١٦) د. (بودرع) عبد الرحمن، نحو قراءة نصية في بلاغة القرآن والحديث(إدارة البحوث والدراسات الإسلامية، قطر، كتاب الأمة، العدد ١٥٤، ربيع أول ١٤٣٤ه. السنة: ٣٣).

١٧) د. (بوقرة) نعمان، المدارس اللسانية المعاصرة، (القاهرة، مصر، مكتبة الآداب، ط: الأولى، ٢٠٠٤م).

١٨) د. (بوقرة) نعمان، ملامح التفكير التداولي البياني عند الأصوليين(مجلة: إسلامية المعرفة السنة: ١٤، العدد ٥٤، خريف ١٤٢٩م ٢٠٠٨م).

١٩) (بومنقاش) الرحموني، الضوابط التداولية للنص الديني. التفسير أنموذجا(الرباط، المملكة المغربية، مؤسسة مؤمنون بلا حدود).
٢٠) (تاج الدين) المصطفى، النص القرآني ومشكل التأويل (مجلة: إسلامية المعرفة، العدد ١٤، ١٩٩٨م – ١٩٩٩م).
٢١) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، الحيوان (بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤هـ).
٢٢) د. (جاد الكريم) عبد الله، التداولية في الدراسات النحوية(القاهرة، مكتبة الآداب، ط الأولى: ١٤٣٥ه- ٢٠١٤م).
٢٣) د. (الجودي) لطفي فكري محمد، جمالية الخطاب في النص القرآني(مؤسسة المختار، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٣٥ه- ٢٠١٤م).
٢٤) د. (حسان) تمام، مناهج البحث في اللغة، (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية).
٢٥) د. (حماسة) محمد: الإبداع الموازي التحليل النصي للشعر(مصر، دار غريب، ٢٠٠١م).
٢٦) (حمداوي) جميل، التداوليات وتحليل الخطاب(ط: الأولى ٢٠١٥م).
٢٧) (حمداوي) جميل، نظريات وظائف اللغة(صحيفة المثقف صحيفة الكترونية يومية مستقلة- مؤسسة المثقف العربي، العدد. ٢٠٩٤ الاربعاء: ١٨/ ٤/ ٢٠١٢م).
٢٨) (خطابي) محمد .لسانيات النص(بيروت، المركز الثقافي العربي، ط: الأولى ١٩٩١م).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

٢٩) (الزمخشري) أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (دار الكتاب العربي – بيروت، ط: الثالثة – ١٤٠٧هـ).

٣٠) د.(زهران) البدراوي: مقدمة في علوم اللغة (القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٧م).

٣١) د. (السعران) محمود، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي (القاهرة ، دار الفكر العربي الطبعة: طبعة ٢– ١٩٩٧م).

٣٢) (سيرل) جون: العقل واللّغة والمجتمع، ترجمة سعيد الغانمي(منشورات الاختلاف، ٢٠٠٦، ط الأولى).

٣٣) السيوطي: جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم(القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م).

٣٤) الشاطبي: إبراهيم بن موسى، الموافقات، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان(دار ابن عفان: ط، الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م).

٣٥) (الشهري) عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية(بيروت، لبنان، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط ١، ٢٠٠٤م).

٣٦) (صحراوي) مسعود، التداولية عند العلماء العرب(بيروت. لبنان، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط ١، ٢٠٠٥م).

٣٧) د. (عبد الرحمن) طه، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام(الدار البيضاء، المغرب المركز الثقافي العربي، ط: الثانية ٢٠٠٠م)،

٣٨) د. (عبد المطلب) محمد، التداولية وأفعال الكلام(مجلة فصول، مجلد(١/٢٥) عدد(٩٧) خريف ٢٠١٦م. الهيئة المصرية العامة للكتاب).
٣٩) العز بن عبد السلام: أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، قواعد الأحكام في مصالح الأنام راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد(مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٤١٤ هـ- ١٩٩١م).
٤٠) د. (عكاشة) محمود، النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية)دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ(القاهرة: مكتبة الآداب، ط: الأولى)
٤١) (العمري) محمد: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها(إفريقيا الشرق، المغرب، ١٩٩٩).
٤٢) (العموش) خلود، الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق(الأردن، عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م).
٤٣) د. (عناني) محمد، المصطلحات الأدبية الحديثة، دراسة ومعجم انجليزي عربي(القاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط الثالثة: ٢٠٠٣.).
٤٤) الفيومي: أحمد بن محمد بن علي، المصباح المنير(بيروت، المكتبة العلمية).
٤٥) (القطان) مناع بن خليل، مباحث في علوم القرآن(مكتبة المعارف للنشر والتوزيع: ط الثالثة ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م).
٤٦) د. (الكردي) عبد الرحيم، قراءة النص مقدمة تاريخية (القاهرة، مكتبة الآداب، ٢٠٠٦م).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

٤٧) (الكفوي) أيوب بن موسى الحسيني، الكليات، تحقيق: عدنان درويش- محمد المصري(مؤسسة الرسالة، بيروت).
٤٨) (لاينز) جون، اللغة والمعنى والسياق، ترجمة: عباس صادق الوهاب(بغداد، دار الشؤون الثقافية، ط ١، ١٩٨٧م).
٤٩) (مانغونو) دومونيك، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة: محمد يحياتن (منشورات الاختلاف. الدار العربية للعلوم ناشرون. ط: الأولى: ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م).
٥٠) د. (المتوكل) أحمد، الوظائف التداولية في اللغة العربية(الدار البيضاء، المغرب، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، ط ١ ١٩٨٥م).
٥١) د. (مزيد) بهاء الدين محمد، تبسيط التداولية، من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي(القاهرة، شمس للنشر والتوزيع، ط ١ ، ٢٠٠٠م).
٥٢) د. (مفتاح) محمد، دينامية النص، تنظير وإنجاز(بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٨٧ م).
٥٣) ميلز: سارة، الخطاب، ترجمة: عبد الوهاب علوب(القاهرة، المركز القومي للترجمة٢٠١٦م، ص١٥، ١٦).
٥٤) (ميلود) مصطفى عاشور. القصدية في النص الأدبي :دراسة لسانية(مجلة الرواق، جامعة لندن المفتوحة، السنة الأولى، العدد الأول ٢٠١٥م).
٥٥) د. (نحلة) محمود أحمد. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر(القاهرة، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٢م).

٥٦) النسائي، السنن الكبرى، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٥٧) (هرماس) عبد الرزاق، القرآن الكريم ومناهج تحليل الخطاب(المغرب، جامعة القاضي عياض).

٥٨) د. (يونس) محمد محمد، المعنى وظلال المعنى. أنظمة الدلالة في العربية(بيروت، لبنان، دار المدار الإسلامي، ط الثانية ٢٠٠٧).

٥٩) د. (يونس) محمد محمد، علم التخاطب الإسلامي(بيروت، لبنان، دار المدار الإسلامي ط: الأولى، ٢٠٠٦م)

٦٠) د. (يونس) محمد محمد، مدخل إلى اللسانيات(بيروت، لبنان، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط: الأولى٢٠٠٤م).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الفهرس

م	الموضـــــوع	الصفحة
١-	ملخص	٨٨٤٩
٢-	Abstract	٨٨٥١
٣-	مقدمة	٨٨٥٣
٤-	المبحث الأول: التداولية والخطاب القرآني.	٨٨٥٨
٥-	أولا: التداولية (المفهوم والنشأة)	٨٨٥٨
٦-	ثانيا: الخطاب القرآني والفهم التداولي	٨٨٦٩
٧-	المبحث الثاني: المقصدية والسياق وتوظيفهما في فهم النص القرآني.	٨٨٨٠
٨-	المقصدية	٨٨٨٠
٩-	السياق وتوظيفه في فهم الخطاب القرآني	٨٨٨٧
١٠-	الخطاب القرآني بين القراءة اللغوية القاصرة والقراءة التداولية	٨٨٩٦
١١-	خاتمة:	٨٩٠٣
١٢-	الفهرس	٨٩١٤